
السيد ابن طاووس
مقتل
الحسين عليه السلام
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب: ٧١٢٠



مقتل الحسين عليه السّلام

المسمّى

بـاللهوف
في قتلى الطفوف

مقتل الحسين عليه السّلام

المسمّى

باللهوف

في قتلى الطفوف

تأليف

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس

الحسيني المتوفى ٦٦٤ هـ

ويليه كتاب :

حكاية المختار في أخذ الثأر

برواية أبي مخنف

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص. ب. : ٧١٢٠

الطبعة المصححة الأُولىٰ
١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة - ملك الاعلمي - ص.ب: ٧١٢٠
الهاتف: ٨٣٣٤٥٣ - تلفاكس: ٨٣٣٤٤٧ .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمـد لله المتجلي لـعبـاده مـن أُفق الألـبـاب ، المجلى عن مـراده بمنطق السنـة والكتـاب ، الـذي نـزه اوليـائه عن دار الغـرور ، وسما بهم إلى أنـوار السرور ، ولم يفعل ذلك بهم محاباة لهم على الخلائق ، ولا إلجاء لهم إلى جميل الطرائق ، بل عرف منهم قبولاً للألطاف ، وإستحقـاقاً لمحـاسن الأوصاف ، فلم يـرض لهم التعلق بحبـال الإهمال ، بـل وفقهم للتخلق بكمـال الأعمـال ، حتى فرغت نفوسهم عمن سواه ، وعرفت أرواحهم شرف رضاه ، فصرفوا أعناق قلوبهم إلى ظله ، وعطفوا آمـالهم نحـو كرمـه وفضله ، فترى لـديهم فرحـة المصـدق بـدار بقائه ، وتنظر إليهم مسحة المشفق من أخطار لقائه ، ولا تزال أشواقهم متضاعفة إلى ما قرب من مراده، وأريحيتهم متـرادفة نحـو إصداره وإيـراده ، وأسماعهم مصغيـة إلى

إستماع أسراره وقلوبهم مستبشرة بحلاوة تذكاره ، فحياهم منه بقدر ذلك التصديق ، وحباهم من لدنه حباء البر الشفيق ، فما أصغر عندهم كل ما أشغل عن جلاله ، وما أتركهم لكل ما باعد من وصاله ، حتى أنهم يتمتعون بأُنس ذلك الكرم والكمال ، ويكسوهم أبداً حلل المهابة والجلال ، فإذا عرفوا أن حياتهم مانعة عن متابعة مرامه ، وبقائهم حائل بينهم وبين إكرامه ، خلعوا أثواب البقاء ، وقرعوا أبواب اللقاء ، وتلذذوا في طلب ذلك النجاح ، ببذل النفوس والأرواح ، وعرضوها لخطر السيوف والرماح ،وإلى ذلك التشريف الموصوف سمت نفوس أهل الطفوف ، حتى تنافسوا في التقدم إلى الحتوف ، وأضحوا نهب الرماح والسيوف ، فما أخصهم بوصف السيد المرتضى علم الهدى ، رضوان الله عليه وقد مدح من أشرنا إليه فقال :

نفوس على الرمضاء مهملة … وأنفس في جوار الله يقربها
كأن قاصدها بالضر نافعها … وإن قاتلها بالسيف محييها

ولولا إمتثال أمر السنة والكتاب ، في لبس شعار الجزع والمصاب ، لأجل ما طمس من اعلام الهداية ، وأسس من أركان الغواية ، وتأسفاً على ما فاتنا من السعادة ، وتلهفاً على إمتثال تلك الشهادة ، وإلا كنا قد

لبسنا لتلك النعمة الكبرى أثواب المسرة والبشرى .
وحيث في الجزع رضا لسلطان المعاد وغرض لأبرار العباد ، فها نحن قد لبسنا سربال الجزوع وأنسنا بإرسال الدموع . وقلنا للعيون جودي بتواتر البكاء وللقلوب جدي جدثوا كل النساء ، فإن ودائع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرؤوف أبيحت يوم الطفوف ، ورسوم وصيته بحرمه وأبنائه طمست بأيدي أُممه وأعدائه . فيالله من تلك الفوادح المقرحة للقلوب ، والجرائح المصرخة بالكروب ، والمصائب المصغرة لكل بلوى ، والنوائب المفرقة شمل التقوى والسهام التى أراقت دم الرسالة والأيدي التي ساقت سبي الجلالة والزرية التي نكست رؤوس الأبدال والبلية التى سلبت نفوس خير الآل ، والشماتة التى ركست أُسود الرجال ، والفجيعة التى بلغ رزؤها الى جبرائيل ، والفظيعة التى عظمت على الرب الجليل .
وكيف لا يكون ذلك وقد أصبح لحم رسوله مجرداً على الرمال ، ودمه الشريف مسفوكاً بسيوف أهل الضلال ، ووجوه بناته مبذولة لعين السائق والشامت ، وسلبهن بمنظر من الناطق والصامت ، وتلك الأبدان المعظمة عارية من الثياب ، والأجساد المكرمة جاثية على التراب .

مصائب بددت شمل النبي ففي ... قلب الهدى أسهم يطفن بالتلف
وناعيات إذا ما مل من وله ... سرت عليه بنار الحزن والأسف

فيا ليت فاطمة وأبيها عيناً تنظر إلى بناتها ، وبنيها ما بين مسلوب وجريح ومسحوب وذبيح ، وبنات النبوة مشققات الجيوب ، ومفجوعات بفقد المحبوب ، وناشرات للشعور ، وبارزات من الخدور ، ولاطمات للخدود ، وعادمات للجدود ، ومبديات للنياحة والعويل ، وفاقدات للمحامي والكفيل ، فيا أهل البصائر من الأنام ، ويا ذوي النواظر والافهام ، حدثوا أنفسكم بمصارع هاتيك العترة ، ونوحوا بالله لتلك الوحدة والكثرة ، وساعدوهم بموالاة الوجد والعبرة ، وتأسفوا على فوات تلك النصرة ، فإن نفوس أولئك الأقوام ، ودائع سطان الأنام ، وثمرة فؤاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وقرة عين البتول ، ومن كان يرشف بفمه الشريف ثناياهم ويفضل على أُمه أمهم وأباهم .

إن كنت في شك فسل عن حالهم ... سنن الرسول ومحكم التنزيل
فهناك أعدل شاهد لذوي الحجى ... وبيان فضلهم على التفصيل
ووصية سبقت لأحمد فيهم ... جائت إليه على يدي جبريل

فكيف طاب للنفوس مع تداني الأزمان ، مقابلة احسان أبيهم بالكفران وتكدير عيشه بتعذيب ثمرة فؤاده ،

وتصغير قدره بإراقة دماء أولاده ، وأين موضع القبول لوصاياه بعترته وآله . وما الجواب عند لقائه وسؤاله . وقد هدم القوم ما بناه . ونادى الإسلام واكرباه . فيا لله من قلب لا ينصدع لتذكار تلك الأمور . ويا عجباه من غفلة أهل الدهور . وما عذر أهل الإسلام والإيمان . في إضاعة أقسام الأحزان . ألم يعلموا أن محمداً صلى الله عليه وآله وسلم موتور وجيع . وحبيبه مقهور صريع . والملائكة يعزونه على جليل مصابه . والأنبياء يشاركونه في أحزانه وأوصابه . فيا أهل الوفاء لخاتم الأنبياء علام لا تواسونه في البكاء ، بالله عليك أيها المحب لوالد الزهراء ، نُح معها على المنبوذين بالعراء ، وجد ويحك بالدموع السجام . وابك على ملوك الإسلام ، لعلك تحوز ثواب المواسي في المصاب ، وتفوز وبالسعادة يوم الحساب .

فقد روى عن مولانا الباقر عليه السلام أنه قال كان زين العابدين عليه السلام يقول أيما مؤمن زرفت عيناه لقتل الحسين عليه السلام حتى تسيل على خده بوأه الله غرفاً في الجنة يسكنها أحقاباً وأيما مؤمن دمعت عيناه حتى تسيل على خده فيما مسنا من الأذى من عدونا في الدنيا بوأه الله منزل صدق وأيما مؤمن مسه أذى فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخط النار .

وروى مولانا الصادق عليه السلام أنه قال :

من ذكرنا عنده ففاضت عيناه ولو مثل جناح الذباب غفر الله ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر .

وروى أيضاً عن آل الرسول عليهم السلام أنهم قالوا من بكى أو أبكى فينا مائة ضمنا له على الله الجنة ، ومن بكى أو أبكى خمسين فله الجنة ، ومن بكى أو أبكى ثلاثين فله الجنّة ، ومن بكى أو أبكى عشرة فله الجنّة ، ومن بكى أو أبكى واحداً فله الجنة ومن تباكى فله الجنّة .

قال علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس الحسيني جامع هذا الكتاب . إن من أجل البواعث لنا على سلوك هذا الكتاب ، إنني لما جمعت كتاب مصباح الزائر . وجناح المسافر ، ورأيته قد إحتوى على أقطار محاسن الزيارات ، ومختار أعمال تلك الأوقات . فحامله مستغن عن نقل مصباح لذلك الوقت الشريف ، أو حمل مزار كبير أو لطيف . أحببت أيضاً أن يكون حامله مستغنياً عن نقل مقتل في زيارة عاشوراء إلى مشهد الحسين عليه السلام فوضعت هذا الكتاب ليضم إليه وقد جمعت هاهنا ما يصلح لضيق وقت الزوار وعدلت عن الإطالة والإكثار وفيه غنية لفتح أبواب الأشجان وبغية لنجح

أربـاب الإيمان فإننا وضعنا في أجسـاد مغنـاه روح مـا يليق بمعنـاه وقد تـرجمته بكتـاب اللهوف على قتلى الـطفوف ووضعته على ثلاث مسالك مستعيناً بالرؤف المالك .

المسلك الأول
في الامور المتقدمة على القتال

ولادة الإمام الحسين(ع)

كان مولد الحسين عليه السلام لخمس ليال خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة وقيل اليوم الثالث منه وقيل في أواخر شهر ربيع الأول سنة ثلاثة من الهجرة .

وروي غير ذلك ولما ولد هبط جبرائيل عليه السلام ومعه ألف ملك يهنون النبي صلى الله عليه وآله وسلم بولادته وجاءت به فاطمة عليها السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسر به وسماه حسيناً .

قال ابن عباس : في الطبقات أنبأنا عبد الله بن بكر بن حبيب السهمي قال : أنبأنا حاتم بن صنعة قال قالت أم الفضل زوجة العباس رضوان الله عليه ، رأيت في منامي قبل مولده كأن قطعة من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قطعت فوضعت في حجري ففسرت ذلك على رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال : ياأُم الفضل رأيت خيراً إن صدقت رؤياك فإن فاطمة ستلد غُلاماً وأدفعه إليك لترضعيه ، قالت : فجرى الأمر على ذلك فجئت به يوماً إليه فوضعته في حجره فبينما هو يقبله فبال فقطرت من بوله قطرة على ثوب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقرصته فبكى ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : كالمغضب مهلاً يا أُم الفضل فهذا ثوبي يغسل وقد أوجعت إبني ، قالت: فتركته في حجره وقمت لآتيه بماء فجئت فوجدته صلى الله عليه وآله وسلم يبكي ، فقلت : مم بكائك يا رسول ؟ الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن جبرائيل أتاني فأخبرني إن أُمتي تقتل ولدي هذا لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة .

قال رواة الحديث : فلما أتت على الحسين عليه السلام من مولده سنة كاملة هبط على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إثني عشر ملكاً أحدهم على صورة الأسد ، والثاني على صورة الثور ، والثالث على صورة التنين ، والرابع على صورة ولد آدم ، والثمانية الباقون على صور شتى محمرة وجوههم باكية عيونهم قد نشروا أجنحتهم وهم يقولون ، يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم سينزل بولدك الحسين عليه السلام ابن فاطمة ما نزل بهابيل من قابيل وسيعطي مثل أجر هابيل ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل ولم يبق في السموات ملك مقرب إلا ونزل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم كل يقرئه السلام ويعزيه

في الحسين عليه السلام ويخبره بثواب ما يعطى ويعرض عليه تربته والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول : اللهم اخذل من خذله واقتل من قتله ولا تمتعه بما طلبه .

قال : فلما أتى على الحسين عليه السلام من مولده سنتان خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سفر له فوقف في بعض الطريق وإسترجع ودمعت عيناه فسئل عن ذلك . فقال : هذا جبرائيل عليه السلام يخبرني عن أرض بشط الفرات يقال لها كربلاء يقتل عليها ولدي الحسين ابن فاطمة عليها السلام فقيل له : من يقتله يا رسول الله ؟ فقال : رجل إسمه يزيد لعنه الله وكأني أنظر إلى مصرعه ومدفنه ، ثم رجع من سفره ذلك مغموماً فصعد المنبر فخطب ووعظ ، والحسن والحسين عليهما السلام بين يديه فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسن ويده اليسرى على رأس الحسين ، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال : (اللهم إن محمداً عبدك ونبيك وهذان أطائب عترتي وخيار ذريتي وأرومتي ومن أخلفهما في أُمتي وقد أخبرني جبرائيل عليه السلام أن ولدي هذا مقتول مخذول . اللهم فبارك له في قتله واجعله من سادات الشهداء اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله .) قال : فضج الناس في المسجد بالبكاء والنحيب ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتبكونه ولا

تنصرونه ثم رجع صلى الله عليه وآله وسلم وهو متغير اللون محمر الوجه فخطب خُطبة أُخرى موجزة وعيناه تنهملان دموعاً ، ثم قال :(أيها الناس إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأرومتي ومزاج مائي وثمرة فؤادي ومهجتي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، ألا وإني انتظرهما وإني لا أسئلكم في ذلك إلّا ما أمرني ربي ، أمرني ربي أن أسئلكم المودة في القربى فانظروا كيف تلقوني غداً على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتوهم ألا وإنه سترد عليّ يوم القيامة ثلاث رايات من هذه ألأُمة .

الأُولى : سوداء مظلمة قد فزعت له الملائكة فتقف عليّ فأقول : من أنتم ؟ فينسون ذكري ، ويقولون : نحن أهل التوحيد من العرب فأقول لهم : أنا أحمد بني العرب والعجم فيقولون : نحن من أُمتك يا أحمد فأقول لهم : كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي ؟ فيقولون : أما الكتاب فضيعناه وأما عترتك فحرصنا على أن نبيدهم عن آخرهم عن جديد الأرض فأُولي عنهم وجهي فيصدرون ظمأ عطاشا مسودة وجوههم .

ثم ترد عليّ راية أُخرى أشد سواداً من الأُولى فأقول

لهم : كيف خلفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر كتاب ربي وعترتي ؟ فيقولون : أما الأكبر فخالفنا وأما الأصغر فخذلناهم ومزقناهم كل ممزق فأقول : إليكم عني . فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم .

ثم ترد عليّ راية أُخرى تلمع وجوههم نوراً فأقول لهم : من أنتم ؟ فيقولون : نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى نحن أُمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونحن بقية أهل الحق حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله وحرّمنا حرامه وأحببنا ذرية نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنصرناهم من كل ما نصرنا منه أنفسنا وقاتلنا معهم من ناواهم فأقول لهم : إبشروا فأنا نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم ثم أسقيهم من حوض فيصدرون مرويين مستبشرين ثم يدخلون الجنة خالدين فيها أبد الآبدين .

أخذ بيعة الحسين (ع) ليزيد

قال وكان الناس يتعاودون ذكر قتل الحسين عليه السلام ويستعظمونه ويرتقبون قدومه فلما توفي معاوية بن أبي سفيان(لع) وذلك في رجب سنة ستين من الهجرة كتب يزيد إلى الوليد بن عتبة وكان أمير المدينة يأمره بأخذ البيعة على أهلها عامة وخاصة على الحسين عليه السلام ويقول له إن أبى عليك فاضرب عنقه وأبعث إلي برأسه فاحضر الوليد

المروان واستشاره في أمر الحسين عليه السلام فقال آنه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه فقال الوليد ليتني لم أك شيئا مذكوراً ثم بعث إلى الحسين عليه السلام فجائه في ثلاثين رجلاً من أهل بيته ومواليه فنعى الوليد إليه موت معاوية وعرض عليه البيعة ليزيد ، فقال : أيها الأمير إن البيعة لا تكون سراً ولكن إذا دعوت الناس غداً فادعنا معهم ، فقال مروان : لا تقبل أيها الأمير عذره ومتى لم يبايع فاضرب عنقه فغضب الحسين عليه السلام ثم قال : ويل لك يابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي كذبت والله ولؤمت ، ثم أقبل على الوليد فقال : أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم الله ويزيد رجل فاسق ، شارب الخمر ، قاتل النفس المحرمة ، معلن بالفسق ، ومثلي لا يبايع مثله . ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة .

ثم خرج عليه السلام فقال مروان للوليد عصيتني ! فقال : ويحك إنك أشرت إليّ بذهاب ديني ودنياي والله ما أُحب أن أملك الدنيا بأسرها وإنني قتلت حسيناً والله ما أظن أحداً يلقي الله بدم الحسين عليه السلام إلَّا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم .

قال : وأصبح الحسين (عليه السلام) فخرج من منزله يستمع الأخبار فلقيه مروان فقال له : يا أبا عبد الله إني لك ناصح فأطعني تُرشد ، فقال الحسين (عليه السلام) وما ذاك قل حتى أسمع ! فقال مروان : إني آمرك ببيعة يزيد بن معاوية فإنه خير لك في دينك ودنياك . فقال الحسين (عليه السلام) : إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بليت الأُمة براع مثل يزيد ولقد سمعت جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول الخلافة محرمة على أبي سفيان وطال الحديث بينه وبين مروان حتى إنصرف مروان وهو غضبان .

يقول علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس مؤلف هذا الكتاب : والذي تحققناه أن الحسين (عليه السلام) كان عالماً بما إنتهت حاله إليه وكان تكليفه ما إعتمد عليه .

أخبرني جماعة وقد ذكرت أسمائهم في كتاب غياث سلطان الورى لسكان الثرى بإسنادهم إلى أبي جعفر محمد بن بابويه القمي فيما ذكر في أماليه بإسناده إلى المفضل بن عمر عن الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جده (عليهم السلام) أن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) دخل يوماً على الحسن (عليه السلام) فلما نظر إليه بكى .

فقال : ما يبكيك ؟ قال : أبكي لما يصنع بك . فقال الحسن عليه السلام إن الذي يؤتى إليّ سم يدس إلي فأُقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد الله عليه السلام يزدلف إليك ثلاثون الف رجل يدعون إنهم من أُمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينتحلون الإسلام فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وإنتهاك حرمتك وسبى ذراريك ونسائك وإنتهاب ثقلك فعندها يحل الله ببني أُمية اللعنة وتمطر السماء دماً ورماداً ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش والحيتان في البحار .

وحدثني جماعة منهم من أشرت إليه بإسنادهم إلى عمر النسابة رضوان الله عليه فيما ذكره في آخر كتاب الشافي في النسب بإسناده إلى جده محمد بن عمر قال : سمعت أبي عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام يحدث أخوالي آل عقيل قال : لما إمتنع أخي الحسين عليه السلام عن البيعة ليزيد بالمدينة ، دخلت عليه فوجدته خاليا فقلت له : جعلت فداك يا أبا عبد الله ، حدثني أخوك أبو محمد الحسن عن أبيه عليهما السلام ثم سبقتني الدمعة وعلا شهيقي فضمني إليه وقال : (حدثك اني مقتول فقلت : حوشيت يابن رسول الله ، فقال : (سألتك بحق أبيك بقتلي خبرك فقلت : نعم فلولا ناولت وبايعت ، فقال :

حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخبره بقتله وقتلي وأن تربتي تكون بقرب تربته فتظن إنك علمت مالم أعلمه وإنه لا أعطي الدنيا عن نفسي أبداً ولتلقين فاطمة أباها شاكية ما لقيت ذريتها من أمته ولا يدخل الجنة أحد آذاها في ذريتها .

أقول : ولعل بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة يعتقد أن الله لا يتعبد بمثل هذه الحالة أما سمع في القرآن الصادق المقال أنه تعبد قوماً بقتل أنفسهم فقال تعالى : ﴿**فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم**﴾ . ولعله يعتقد أن معنى قوله : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ . آنه هو القتل وليس الأمر كذلك وإنما التعبد به من أبلغ درجات السعادة ولقد ذكر صاحب المقتل المروى عن مولانا الصادق عليه السلام في تفسير هذه الآية ما يليق بالعقل ، فروى عن أسلم قال : غزونا نهاوند وقال غيرها واصطفينا والعدو صفين لم أر أطول منهما ولا أعرض والروم قد الصقوا ظهورهم بحائط مدينتهم فحمل رجل منا على العدو فقال الناس : لا إله إلا الله القى نفسه إلى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصاري إنما تؤولون هذه الآية على أن حمل هذا الرجل يلتمس الشهادة ، وليس كذلك

إنما نزلت هذه الآية فينا لأنا كنا قد إشتغلنا بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتركنا أهالينا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلح ما فسد منها فقد ضاعت بتشا غلنا عنها فأنزل الله أنكال لما وقع في نفوسنا من التخلف عن نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاصلاح أموالنا . ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾ . معناه إن تخلفتم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأقمتم في بيوتكم القيتم بأيديكم إلى التهلكة وسخط الله عليكم فهلكتم . وذلك رد علينا فيما قلنا وعزمنا عليه من الإقامة وتحريض لنا على الغزو وما أنزلت هذه الآية في رجل حمل العدو ويحرض أصحابه أن يفعلوا كفعله أو يطلب الشهادة بالجهاد في سبيل الله رجاء الثواب الآخرة .

أقول : وقد نبهناك على ذلك في خطبة هذا الكتاب وسيأتي ما يكشف عن هذه الأسباب .

قال رواة حديث الحسين عليه السلام مع الوليد بن عتبة ومروان فلما كان الغداة توجه الحسين عليه السلام إلى مكة لثلاث مضين من شعبان سنة ستين فأقام بها باقي شعبان وشهر رمضان وشوال وذي القعدة قال : وجاء عبد الله بن عباس رضوان الله عليه وعبد الله بن الزبير فأشارا إليه بالإمساك . فقال لهماأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أمرني بأمر

وأنـا ماضٍ فيـه . قـال : فخـرج ابن عبـاس وهـو يقـول وأحسيناه .

ثم جـاء عبـد الله بن عمـر فـأشـار إليـه بصلح أهـل الضلال وحذره من القتـل والقتال فقـال له : يـا أبـا عبـد الرحمن أما علمت أن من هـوان الدنيـا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أُهدي إلى بغي من بغايـا بني إسرائيل أما تعلم إن بني إسـرائيل كـانوا يقتلون مـا بين طلوع الفجـر إلى طلوع الشمس سبعين نبيـاً ثم يجلسون في أسـواقهم يبيعـون ويشتـرون كـأن لم يصنعـوا شيئـاً فلم يعجـل الله عليهم بل أمهلهم وأخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام اتـقِ الله يا أبا عبد الرحمن ولا تدعن نصرتي .

قال : وسمع أهل الكوفة بوصول الحسين عليه السلام إلى مكـة وإمتنـاعـه من البيعـة ليـزيـد فـاجتمعـوا في منـزل سليمـان بن صرد الخـزاعي فلما تكـاملوا قام سليمـان بن صرد فيهم خطيباً وقال في آخر خطبتـه : يا معشـر الشيعة إنكم قد علمتم بأن معاوية قـد هلك وصار إلى ربـه وقدم على عمله وقـد قعـد في مـوضعـه إبنـه يـزيـد وهـذا الحسين بن علي عليهما السلام قد خالفـه وصار إلى مكـة هاربـاً من طـواغيت آل أبي سفيان وأنتم شيعتـه وشيعة أبيـه من قبله وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم فإن كنتم تعلمون إنكم

ناصروه ومجاهدوا عدوه فاكتبوا إليه وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه قال فكتبوا إليه .

كتب أهل الكوفة للحسين (ع)

قال : فكتبوا (بسم الله الرّحمٰن الرّحيم .. للحسين بن علي أمير المؤمنين ، من سليمان بن صرد الخزاعي ،والمسيب بن نجية، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وعبد الله بن وائل ، وشيعة من المؤمنين ، سلام عليك .

أما بعد :

فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك من قبل الجبار العنيد الغشوم الظلموم الذي ابتز هذه الأُمة أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها ثم قتل خيارها وإستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها فبعداً له كما بعدت ثمود ثم إنه ليس علينا إمام غيرك فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ولسنا نجمع معه في جمعة ولا جماعة ولا نخرج معه في عيد ولو قد بلغنا إنك أقبلت أخرجناه حتى يلحق بالشام والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يابن رسول الله وعلى أبيك من قبلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم]

ثم سـرحـوا الكتـاب ولبثـوا يـومين وأنفـذوا جمـاعـة معهم نحـو مائـة وخمسين صحيفة من الـرجل والإثنين والثـلاثة والأربعة ، يسئلونه القدوم عليهم وهو مـع ذلك يتـأنى ولا يجيبهم   فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب وتواتـرت الكتب حتى إجتمع عنده منها في نوب متفرقة إثنى عشـر ألف كتاب .

قال ثم قدم عليه بعد ذلك هاني بن هاني السبيعي ، وسعيـد بن عبد الله الحنفي ، بهـذا الكتاب وهـو آخر مـا ورد على الحسين عليه السلام من أهل الكوفة وفيه .

بسم الله الـرحمٰن الرحيم . . للحسين بن علي أميـر المؤمنين عليه السلام .

أما بعد :

فـإن الناس ينتـظرونـك لا رأي لهم غيـرك فـالعَجَـلْ العَجَـلْ يـا بن رســول الله ، فقـد إخضــرت الجنـات ، وأينعت الثمـار ، وأعشبت الأرض ، وأورقت الأشجـار ، فاقدم علينا إذا شئت فإنما تُقدم على جنـد مجندة لـك .
والسلام عليك ورحمة الله وعلى أبيك من قبلك .

فقــال الحسين عليه السلام لهــاني بن هــاني السبيـعي ، وسعيـد بن عبـد الله الحنفي : خبـراني من إجتمـع على

هذا الكتاب الذي كتب به إلى معكما ؟ فقالا : يا بن رسول الله شبث بن ربعي ، وحجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث ، ويزيد بن رويم ، وعروة بن قيس ، وعمرو بن الحجاج ، ومحمد بن عمير بن عطارد .

قال : فعندها قام الحسين عليه السلام فصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك ثم طلب مسلم بن عقيل وأطلعه على الحال وكتب معه جواب كتبهم يعدهم بالقبول ويقول ما معناه :

قد نفذت إليكم ابن عمي مسلم بن عقيل ليعرفني ما أنتم عليه من رأي جميل فسار مسلم بالكتاب حتى وصل بالكوفة فلما وقفوا على كتابه كثر إستبشارهم بإيابه ثم أنزلوه في دار المختار بن أبي عبيدة الثقفي ، وصارت الشيعة تختلف إليه ، فلما إجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام ، وهم يبكون حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً .

وكتب عبد الله بن مسلم الباهلي ، وعمارة بن وليد ، وعمر بن سعد ، إلى يزيد يخبرونه بأمر مسلم ويشيرون عليه بصرف النعمان بن بشير وولاية غيره .

فكتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد وكان والياً على البصرة بأنه قد ولاه الكوفة وضمها إليه وعرفه أمر

مسلم بن عقيل وأمر الحسين عليه السلام وشدّد عليه في تحصيل مسلم وقتله رضوان الله عليه فتأهب عبيد الله للمسير إلى الكوفة وكان الحسين عليه السلام قد كتب إلى جماعة من أشراف البصرة كتاباً مع مولى له إسمه سليمان ويكنى أبا رزين يدعوهم فيه إلى نصرته ولزوم طاعته ، منهم يزيد بن مسعود النهشلي ، والمنذر بن الجارود العبدي ، فجمع يزيد بن مسعود بني تميم وبني حنظلة وبني سعد فلما حضروا قال :

يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم ؟ فقالوا : بخ بخ أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً وتقدمت فيه فرطاً ، قال : فإني قد جمعتكم لأمر أريد أن أُشاوركم فيه وأستعين بكم عليه ؟ فقالوا : إنا والله نمنحك النصيحة نجهد لك الرأي ، فقل حتى نسمع ، فقال : إن معاوية مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً الا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم وتضعضعت أركان الظلم وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظن انه قد أحكمه وهيهات والذي أراد إجتهد والله ففشل وشاور فخذل وقد قام إبنه يزيد شارب الخمور ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين ويتآمر عليهم بغير رضى منهم مع قصر حلم وقلة علم لا يعرف من الحق موطىء قدميه ، فأقسم بالله قسماً مبروراً لجهاده

على الـدين أفضـل من جهـاد المشـركيـن وهـذا الحسين بن علي ابن بنت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذو الشـرف الأصيـل ، والـرأي الأثيـل لـه فضـل لا يـوصف وعلم لا ينـزف وهو أولى بهـذا الأمر لسـابقته ، وسنـه ، وقدمـه ، وقرابته ، يعطف على الصغير ويحنو على الكبير ، فـأكرم بـه راعي رعية وإمـام قـوم وجببت لله بـه الحجـة وبلغت بـه المـوعظة ، فـلا تعشوا عن نـور الحق ، ولا تسكعـوا في وهد الباطـل ، فقد كـان صخر بن قيس إنخـذل بكم يوم الجمـل فاغسلوهـا بخـروجكم إلى ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته والله لا يقصر أحد عن نصـرته إلا أورثـه الله الذل في ولـده والقلة في عشيرتـه وها أنـاذا قد لبست للحـرب لامتها وأدرعت لها بـدرعها من لم يقتـل يمت ومن يهرب لم يفت فـاحسنوا رحمكم الله رد الجـواب فتكلمت بنو حنـظلة فقالـوا : أبا خـالـد نحن نبـل كنـانتـك وفـرسـان عشيـرتك إن رميت بنـا أصبت وإن غـزوت بنـا فتحت لا تخـوض والله غمرة إلا خضنـاهـا ولا تلقي والله شـدة إلا لقينـاها ننصـرك والله بأسيـافنا ونقيـك بـأبـداننـا إذا شئت فـافعل وتكلمت بنـو سعد بن يـزيد ، فقـالـوا : يـا أبـا خـالد ، إن أبغض الأشيـاء إلينـا خـلافـك والخـروج من رأيك وقد كان صخر بن قيس أمـرنا بتـرك القتال فحمـدنا أمـرنا وبقي عـزنا فينـا فامهلنـا نراجـع المشـورة ونـأتيـك

برأينا ، وتكلمت بنو عامر بن تميم ، فقالوا : يا أبا خالـد نحن بنـو أبيك وحلفـائك لا نـرضى إن غضبت ولا نوطن إن ظعنت والأمر إليك فادعنا نجبك وأمرنـا نطعـك والأمر لـك إذا شئت . فقال : والله يـا بني سعد لئن فعلتمـوهـا لارفع الله السيف عنكم أبدا ولا زال سيفكم فيكم .

ثم كتب إلى الحسين عليه السلام :

[بسم الله الرحمٰن الرحيم . .

أما بعد :

فقد وصل كتابك وفهمت ما ندبتني إليه ودعوتني لـه من الأخذ بحظي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتـك وإن الله لا يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيـل نجاة وأنتم حجـة الله على خلقه ووديعتـه في أرضه تفرعتم من زيتونة أحمـدية هـو أصلها وأنتم فـرعها فأقدم سعدت بأسعد طائر فقد ذللت لـك أعناق بني تميم وتركتهم أشد تتابعاً في طـاعتك من الإبـل الظمـاء لورود الماء يوم خمسها وكظها وقد ذللت لك بني سعد وغسلت درن صدورها بماء سحابة مزن حين إستهل برقها فلمع] .

فلما قرأ الحسين عليه السلام الكتاب قال مالك آمنـك الله يوم الخوف وأعزك وأرواك يوم العـطش الأكبر فلمـا تجهز

المشار إليه للخروج إلى الحسين عليه السلام بلغه قتله قبل أن يسير فخرج من إنقطاعه عنه .

وأما المنذر بن الجارود فإنه جاء بالكتاب والرسول إلى عبيد الله بن زياد لأن المنذر خاف أن يكون الكتاب دسيساً من عبيد الله بن زياد وكانت بحرية بنت المنذر زوجة لعبيد الله بن زياد فأخذ عبيد الله بن زياد الرسول فصلبه ثم صعد المنبر فخطب وتوعد أهل البصرة على الخلاف وإثارة الأرجاف ، ثم بات تلك الليلة ، فلما أصبح إستناب عليهم أخاه عثمان بن زياد وأسرع هو إلى قصر الكوفة فلما قاربها نزل حتى أمسى ، ثم دخلها ليلاً فظن أهلها أنه الحسين عليه السلام فباشروا بقدومه ودنوا منه فلما عرفوا أنه ابن زياد تفرقوا عنه فدخل قصر الإمارة وبات فيه إلى الغداة ، ثم خرج وصعد المنبر وخطبهم وتوعدهم على معصية السلطان ووعدهم مع الطاعة بالإحسان .

مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة

فلما سمع مسلم بن عقيل بذلك خاف على نفسه من الإشتهار فخرج من دار المختار وقصد دار هاني بن عروة فآواه وكثر إختلاف الشيعة إليه وكان عبيد الله قد وضع المراصد عليه ، فلما علم إنه في دار هاني دعا

محمــد بن الأشعث وأسمـاء بن خـارجـة ، وعمـرو بن الحجاج وقال ما يمنع هاني بن عروة من إتياننا . فقالوا : مـا ندري وقـد قيل إنـه يشتكي ، فقال : قـد بلغني ذلك وبلغني إنه قد برء وإنه يجلس على باب داره ولو أعلم أنه شاك لعدته فألقوه ومروه أن لا يدع ما يجب عليه من حقنا فإني لا أحب أن يفسد عنـدي مثله من أشراف العـرب ، فأتوه ووقفوا عليه عشية على بابه ، فقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير فإنه قد ذكرك ، وقال : لو أعلم إنه شرك لعدته فقال : لهم الشكوى تمنعني ، فقالوا لـه : قد بلغـه إنك تجلس كـل عشية على بـاب دارك وقد إستبـطاك والإبطاء والجفـاء لا يتحمله السلطان من مثلك لأنـك سيـد في قومك ونحن نقسم عليـك إلا ما ركبت معنـا فدعـا بثيابـه فلبسها ، ثم دعا ببغلته فركبها حتى إذا دنا من القصر كأن نفســه أحست ببعض الـذي كـان ، فقـال لحسـان بن أسمـاء بن خارجـة : يا ابن أخي إني والله لهـذا الـرجـل الأميـر لخائف فمـا ترى ! قـال : والله يا عمٍ مـا أتخـوف عليـك شيئـا ولا تجعـل على نفسـك سبيـلاً ، ولم يكن حسان يعلم في أي شيء ، بعث إليه عبيد الله فجاء هاني والقـوم معه حتى دخلوا جميعاً على عبيـد الله فلمـا رأى هانياً قال : أتتك بخائن لك رجـلاه ثم التفت إلى شريـح القـاضي وكان جـالساً عنـده وأشار إلى هـاني وأنشد بيت

عمرو بن معدى كرب الزبيدي :

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

فقال له هاني : وما ذاك أيها الأمير ؟ فقال أيه يا هاني ما هذه الأمور التي تربص في دورك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ، جئت بمسلم بن عقيل وأدخلته في دارك وجمعت له السلاح والرجال في الدور حولك وظننت إن ذلك يخفى علي ! فقال : ما فعلت ؟ فقال ابن زياد : بلى قد فعلت ، فقال : ما فعلت أصلح الله الأمير ، فقال ابن زياد : علي بمعقل مولاي وكان معقل عينه على اخبارهم وقد عرف كثيرا من أسرارهم فجاء معقل حتى وقف بين يديه فلما رآه هاني عرف إنه كان عيناً عليه فقال : أصلح الله الأمير والله ما بعثت إلى مسلم بن عقيل ولا دعوته ولكن جائني مستجيراً فأجرته ، فأستحيت من رده ودخلني من ذلك ذمام ، فضيفته فلما إذ قد علمت فخل سبيلي حتى أرجع إليه وآمره بالخروج من داري إلى حيث شاء من الأرض لاخرج بذلك من ذمامه وجواره فقال له ابن زياد : لا تفارقني أبداً حتى تأتيني به ، فقال : لا والله لا أجيئك به أبداً ، أجيئك بضيفي حتى تقتله ! قال : والله لتأتيني به . قال : لا والله لا آتيك به . فلما كثر الكلام بينهما

قـام مـسلم بـن عمـرو البـاهلي فـقـال : أصلح الله الأمير ، خلني وإياه حتى أكلمـه ، فقام فخلى بـه ناحيـة وهمـا بحيث يراهمـا ابن زياد ويسمـع كلامهمـا إذا رفعـا أصواتهما ، فقـال له مسلم : يـا هاني أنـاشدك الله أن لا تقتل نفسك ولا تدخل البلاء على عشيرتـك فـوالله إنـي لانفس بك عن القتل إن هذا الرجل ابن عم القوم وليسـوا قاتليه ولا ضاربيه فأدفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقـصـة وإنما تـدفعه إلى السلطان ، فقـال هـاني : والله إن عليّ بذلك الخزي والعار أنا أدفع جاري وضيفي ورسول ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا صحيح الساعدين كثيـر الأعـوان والله لو لم أكن إلا واحـد ، وليس لي نـاصـر لم أدفعه حتى أموت دونه فأخذ يناشـده وهو يقـول : والله لا أدفعه أبداً فسمـع ابن زياد ذلـك ، فقال ابن زيـاد : ادنوه مني فأدني منه فقال : والله لتأتيني به أو لأضـربن عنقـك . . . فقال هـاني : إذن والله تكثـر البـارقـة حـول دارك . . . فقـال ابن زيـاد : والهفـاه عليـك أبـالبـارقـة تخوفني ! وهاني يظن أن عشيرته يسمعونه ثم قال : أدنوه مني فـأدنى منه فـاستعرض وجهـه بـالقضيب فلم يـزل يضرب أنفه وجبينه وخده حتى انكسـر أنفه وسيـل الدمـاء على ثيـابه ونثـر لحم خـده وجبينـه على لحيتـه فـانكسـر القضيب ، فضـرب هـاني بيـده إلى قـائم سيـف شـرطي

فجاذبه ذلك الرجل ، فصاح إبن زياد : خذوه ، فجروه حتى القوه في بيت من بيوت الدار وأغلقوا عليه بابه ، فقال : اجعلوا عليه حرساً ففعل ذلك به فقام أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد وقيل إن القائم حسان بن أسماء . فقال ارسل غدر سائر القوم أيها الأمير أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به هشمت وجهه وسيلت دمائه على لحيته وزعمت إنك تقتله فغضب ابن زياد ، وقال : وأنت ها هنا ثم أمر به فضرب حتى ترك وقيد وحبس في ناحية من القصر . فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، إلى نفسي أنعاك يا هاني .

قال الراوي : وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانياً قد قتل وكانت رويحة بنت عمرو هذا تحت هاني بن عروة فأقبل عمرو في مذحج كافة حتى أحاط بالقصر ونادى عمرو بن الحجاج وهذه فرسان مذحج ووجوهها لم نخلع طاعة ولم نفارق جماعة وقد بلغنا أن صاحبنا هانياً قد قتل ، فعلم عبيد الله بإجتماعهم وكلامهم فأمر شريحا القاضي أن يدخل على هاني فيشاهده ، ويخبر قومه بسلامته من القتل ففعل ذلك وأخبرهم فرضوا بقوله وانصرفوا .

قال : وبلغ الخبر إلى مسلم بن عقيل فخرج بمن

بايعه إلى حرب عبيد الله بن زياد فتحصن منه الشام بقصر دار الإمارة وإقتتل أصحابه وأصحاب مسلم وجعل أصحاب عبيد الله الذين معه في القصر يتشرفون منه ويحذرون أصحاب مسلم ويتوعدونهم بأجناد الشام فلم يزالوا كذلك ، حتى جاء الليل فجعل أصحاب مسلم يتفرقون عنه ويقول بعضهم لبعض ما نصنع بتعجيل الفتنة أن نقعد في منازلنا وندع هؤلاء القوم حتى يصلح الله ذات بينهم فلم يبق معه سوى عشرة أنفس ، فدخل مسلم المسجد ليصلي المغرب فتفرق العشرة عنه فلما رأى ذلك خرج وحيداً في دروب الكوفة حتى وقف على باب إمرأة يقال لها طوعة فطلب منها ماء فسقته ثم إستجارها فأجارته فعلم به ولدها فوشى الخبر بطريقة إلى إبن زياد فأحضر محمد بن الأشعث وضم إليه جماعة وأنفذه لإحضار مسلم ، فلما بلغوا دار المرأة وسمع مسلم وقع حوافر الخيل لبس درعه وركب فرسه وجعل يحارب أصحاب عبيد الله حتى قتل منهم جماعة فنادى إليه محمد بن الأشعث وقال : يا مسلم لك الأمان . فقال مسلم : وأي أمان للغدرة الفجرة ثم أقبل يقاتلهم ويرتجز بأبيات حمران بن مالك الخثعمي يوم القرن :

أقسمت لا أُقتل إلا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أكره أن أُخدع أو أُغرا أو أخلط البارد سخناً مرا

كـل إمـرىء يـومـاً يــلاقي شــرا   أضــربـكـم ولا أخــاف ضــرا

فنادوا إليه إنه لا يكذب ولا يغر فلم يلتفت إلى ذلك وتكـاثروا عليـه بعد أن أُثخن بـالجراح فـطعنـه رجـل من خلفه فخرّ إلى الأرض فأُخذ أسيراً فلما أُدخـل على عبيد الله لم يسلم عليــه   فقــال لــه الحــرس : سـلـم على الأمير ، فقال له : أُسكت ويحك والله مـا هو لي بـأمير ، فقـال ابن زياد : لا عليـك ، سلمت أم لم تسلم فـإنـك مقتول   فقال له مسلم : إن قتلتني فلقد قتل من هو شـر منـك من هو خيـر مني   وبعد فـإنك لا تـدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولوم الغلبـة لا أحد أولى بهـا منك ، فقال ابن زيـاد : يا عـاق يا شـاق ، خرجت على إمـامك وشققت عصـا المسلمين والحقت الفتنـة ، فقـال مسلم : كـذبت يـا بن زيـاد ! إنمـا شق عصـا المسلمين معـاوية وإبنـه يزيـد وأما الفتنـة فإنمـا ألحقها أنت وأبـوك زيـاد بن عبيـد عبـد بني عـلاج من ثقيف وأنـــا أرجـو أن يـرزقني الله الشهـادة على يـدي شـر بـريتـه ، فقـال ابن زيـاد : مـنتك نفسـك أمراً حـال الله دونه وجعله لأهله ، فقـال لـه مسلم : ومن يـا ابن مـرجـانـة ؟ فقـــال : أهله يـزيد بن معـاوية . فقـال مسلم : الحمد لله رضينـا بـالله حكماً بيننا وبينكم . فقال له ابن زياد : أتظن أن لك في

الأمـر شيئاً . فقـال له مسلم : والله مـا هـو الـظن ولكنـه اليقين . فقال ابن زياد : إخبرني يا مسلم بماذا أتيت هذا البلد وأمرهم ملتئم فشتت أمرهم بينهم وفـرقت كلمتهم ، فقال مسلم : ما لهذا أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعـروف وتـآمـرتم على النـاس بغيـر رضى منهـم وحملتمـوهم على غيـر مـا أمـركم الله بـه وعملتم فيهم بـأعمال كسـرى وقيصر فـأتيناهم لنـأمر فيهم بـالمعـروف ونهى عن المنكر وندعوهم إلى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك فجعـل زياد يشتمـه ويـشـتم عـليـاً والحسن والحسين عليهم السلام . فقـال لـه مسلم : أنت وأبـوك أحق بالشتيمة ،فـاقضِ ما أنت قـاضٍ يا عدو الله . فأمـر ابن زيـاد بكيـر بن حمـران أن يصعـد بـه إلى أعلى القصـر فيقتله فصعد به وهو يسبح الله تعـالى ويستغفره ويصلي على النبـي صلى الله عليه وآله وسلم فضـرب عنقه فنزل مذعوراً ، فقال لـه ابن زياد : ما شأنك ؟ فقال : أيها الأمير رأيت ساعة قتله رجلاً أسود سيء الوجه حذا مني عاضاً على إصبعه اوقال على شفته ، ففزعت منه فزعاً لم أفزعه قط . فقال له ابن زياد (ع) لعلك دهشت . ثم أمر بهـاني بن عروة فجعـل يقـول وامذحجـاه وأين مني مذحـج واعشيرتـاه وأين مني عشيرتي ، فقال له : مد عنقك ، فقال لهم : والله مـا أنا بها سخي ، وما كنت لأعينك على نفسي ، فضربـه غلام

لعبيد الله بن زياد يقال له رشيد فقتله . وفي قتل مسلم وهاني يقول عبد الله بن زبير الأسدي . ويقال إنها للفرزدق وقال بعضهم إنها لسليمان الحنفي .

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هاني في السوق وإبن عقيل
إلى بطل قد هشم السيف وجهه وآخر يهوى من طمار قتيل
أصابهما فرخ البغي فأصبحا أحاديث من يسري بكل سبيل
ترى جسداً قد غير الموت لونه ونضج دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحي من فتاة حيية وأقطع من ذي شفرتين صقيل
أيركب أسماء الهماليج آمناً وقد طلبته مذحج بذحول
تطوف حفافيه مراد وكلهم على رقبة من سائل ومسول
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم فكونوا بغايا أرغمت ببعول

قال الراوي : وكتب عبيد الله بن زياد بخبر مسلم وهاني إلى يزيد بن معاوية فأعاد الجواب إليه يشكره فيه على فعاله وسطوته ويعرفه أن قد بلغه توجه الحسين عليه السلام إلى جهته ويأمره عند ذلك بالمؤاخذة والإنتقام والحبس على الظنون والأوهام .

خروج الحسين من مكة متوجهاً إلى العراق

وكان قد توجه الحسين عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء ثلاث مضين من ذي الحجة وقيل يوم الأربعاء لثمان من

ذي الحجة سنة ستين قبل أن يعلم بقتل مسلم لأنه عليه السلام خرج من مكة في اليوم الذي قتل فيه مسلم رضوان الله عليه .

وروي إنه عليه السلام لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيباً فقال : الحمد لله ماشاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة وما أولهني إلى أسلافي إشتياق يعقوب إلى يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه كأنى بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء فيملأن مني أكراشاً جوفا ، وأجربة سغبا لا محيص عن يوم خط بالقلم رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ويوفينا أجر الصابرين لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحمته وهي مجموعة له في حظيرة القدس تقربهم عينه وينجز بهم وعده من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإنني راحل مصبحاً إنشاء الله تعالى .

وروى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري الإمامي في كتاب دلائل الإمامة ، قال : حدثنا أبو سفيان بن وكيع عن أبيه وكيع عن الأعمش قال . قال أبو محمد الواقدي وزرارة بن خلج : لقينا الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن

يخرج إلى العراق فأخبرناه ضعف الناس بالكوفة وإن قلوبهم معه ، وسيوفهم عليه ، فأومى بيده نحو السماء فَفُتِحَتْ أبواب السماء ونزلت الملائكة عدداً لا يحصيهم إلا الله عز وجل ، فقال : لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤلاء ، ولكن أعلم يقيناً ان هناك مصرعي ومصرع أصحابي لا ينجو منهم إلا ولدي علي عليه السلام .

وروى معمر بن المثنى في مقتل الحسين عليه السلام ، فقال : ما هذا لفظه ، فلما كان يوم التروية قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص إلى مكة في جند كثيف قد أمره يزيد أن يناجز الحسين القتال إن هو ناجزه أو يقاتله إن قدر عليه . فخرج الحسين عليه السلام يوم التروية .

ورويت من كتاب أصل لأحمد بن الحسين بن عمر بن يزيد الثقة ، وعلى الأصل إنه كان لمحمد بن داود القمي بالإسناد عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سار محمد بن الحنفية إلى الحسين في الليلة التي أراد الخروج في صبيحتها عن مكة فقال يا أخي إن أهل الكوفة من قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك وقد خفت أن يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعز من في الحرم وأمنعه . فقال : يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم فأكون الذي يستباح به

حرمة هـذا البيت فقال لـه : ابـن الـحنفيـة فإن خفت ذلـك فصر إلى اليمن أو بعض نـواحي البـر فـإنـك أمنـع الناس به ولا يقدر عليك أحد فقال : أنظر فيما قلت . فلمـا كـان السحـر إرتحـل الحسين عليه السلام فبلغ ذلـك ابن الحنفية فأتـاه فأخـذ زمام نـاقته التي ركبهـا . فقال لـه : يا أخي ألم تعـدني النظر فيمـا سألتـك ؟ قال بلى ، قـال : فمـا حـداك على الخـروج عـاجـلاً ، فقـال : أتـاني رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما فارقتك ، فقـال : يا حسين اخـرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً ، فقال له ابن الحنفيـة : إنا لله وإنا إليـه راجعون فمـا معنى حملك هؤلاء النسـاء معـك وأنت تخرج على مثل هذه الحال ؟ قال فقال له قد قـال لي إن الله قد شاء أن يراهن سبايا وسلم عليه ومضى .

وذكر محمد بن يعقـوب الكليني في كتاب الـرسائـل عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن أيـوب بن نـوح عن صفوان عن مـروان بن إسماعيـل عن حمـزة بن حمــران عن أبي عبــد الله عليه السلام قــال ذكــرنــا خروج الحسين عليه السلام وتخلف ابن الحنفيـة عنـه فقـال أبـو عبـد الله عليه السلام يـا حمزة إني سـأحدثـك بحديث لا تسئـل عنه بعد مجلسنا هذا إن الحسين عليه السلام لما فصل متوجهـاً أمر بقرطاس وكَتَبَ .

[بسم الله الرحمن الرحيم . . من الحسين بن علي إلى بني هاشم .

أما بعد :

فإنه من لحق بي منكم إستشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام] .

وذكر المفيد محمد بن محمد بن النعمان (رض) في كتاب مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومولد الأوصياء عليهم السلام بإسناده إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليهم السلام قال لما سار أبو عبد الله الحسين بن علي عليهما السلام من مكة ليدخل المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومين والمردفين في أيديهم الحراب على نجب من نجب الجنة فسلموا عليه وقالوا : يا حجة الله على خلقه بعد جده وأبيه وأخيه إن الله عز وجل أمد جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنا في مواطن كثيرة وإن الله أمدك بنا . فقال لهم : الموعد حفرتي وبقعتي التى أستشهد فيها وهي كربلاء فإذا وردتها فأتوني فقالوا : يا حجة الله إن الله أمرنا أن نسمع لك ونطيع فهل تخشى من عدو يلقاك فنكون معك ، فقال : لا سبيل لهم علي ولا يلقوني بكريهة أواصل إلى بقعتي وأتته أفواج من مؤمني الجن ، فقالوا له : يا مولانا نحن شيعتك وأنصارك فمرنا بما تشاء فلو أمرتنا بقتل كل عدو

لـك وأنت بمكانـك لكفيناك ذلـك ، فجزاهم خيـراً وقال لهم : أمـا قـرأتم كتـاب الله المنـزل على جـدي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى : ﴿**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**﴾ فـإذا أقمت في مكاني فبمن يمتحن هذا الخلق المتعوس وبماذا يختبرون ومن ذا يكـون ساكن حفـرتي وقد إختـارها الله تعـالى لي يـوم دحـا الأرض وجعلهـا معقـلاً لشيعتنـا ومحبينـا تقبـل أعمالهم وصلواتهم ويجاب دعاؤهم وتسكن شيعتنا فتكـون لهم أمـانـاً في الـدنيـا وفي الآخـرة ولكن تحضـرون يـوم السبت وهـو يوم عـاشوراء وفي غيـر هذه الـرواية يـوم الجمعة الـذي في آخره أقتـل ولا يبقى بعـدي مـطلوب من أهلي ونسبي وإخـواني وأهـل بيتي ويسـار رأسي إلى يـزيـد بن معاوية (لعنهما) الله فقالت الجن : نحن والله يـا حبيب الله وابن حبيبه لولا أن أمرك طاعة وإنه لا يجوز لنا مخـالفتك لخالفناك وقتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك ، فقال لهم عليه السلام ونحن والله أقـدر عليهم منكم ولكن ليهلك من هلك من بينة ويحيى من حي عن بينة .

ثم سار حتى مر بالتنعيم فلقى هناك عيراً تحمل هدية قد بعث بها بحير بـن ريسان الحميـري عامـل اليمن إلى يزيد بن معاوية فأخذ الهدية لأن حكم أمور المسلمين إليه

وقال لأصحاب الجمال من أحب أن ينطلق معنا إلى العراق وفيناه كراه وأحسنا معه صحبته ومن يحب أن يفارقنا أعطينا كراه بقدر ما قطع من الطريق فمضى معه قوم وامتنع آخرون .

ثم سار حتى بلغ ذات عرق فلقى بشر بن غالب وارداً من العراق فسأله عن أهلها ، فقال : خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أُمية ، فقال : صدق أخو بني أسد إن الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

قال الراوي : ثم سار حتى نزل الثعلبية وقت الظهيرة فوضع رأسه فرقد ثم إستيقظ فقال قد رأيت هاتفاً يقول أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلى الجنة فقال له إبنه علي يا أبة أفلسنا على الحق فقال بلى يا بني والله الذي إليه مرجع العباد فقال : يا أبه إذن لا نبالي بالموت ، فقال الحسين عليه السلام جزاك الله يا بني خير ما جزا ولداً عن والده ثم بات عليه السلام في الموضع المذكور فلما أصبح إذا برجل من الكوفة يكنى أبا هرة الأزدي قد أتاه فسلم عليه ثم قال : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال الحسين : ويحك يا أبا هرة إن بني أُمية أخذوا مالي فصبرت وشتموا عرضي فصبرت وطلبوا دمي فهربت وايم الله لتقتلني الفئة

الباغية وليلبسنهم الله ذلاً شاملاً وسيفاً قاطعاً وليسلطن الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من قوم سبأ إذ ملكتهم إمرأة فحكمت في أموالهم ودمائهم .

ثم سار عليه السلام فحدث جماعة من بني فزارة وبجيلة قالوا : كنا مع زهير بن القين لما أقبلنا من مكة فكنا نساير الحسين عليه السلام حتى لحقناه فكان إذا أراد النزول إعتزلناه فنزلنا ناحية فلما كان في بعض الأيام نزل في مكان لن نجد بداً من أن ننازله فيه فبينا نحن نتغدى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلم ثم قال : يا زهير بن القين إن أبا عبد الله الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه فطرح كل إنسان منا ما في يده حتى كأنما على رؤوسنا الطير ، فقالت له زوجته وهي ديلم بنت عمرو : سبحان الله أيبعث إليك ابن رسول الله عليه السلام ثم لا تأتيه فلو أتيته . فسمعت من كلامه فمضى إليه زهير بن القين فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق وجهه فأمر بفسطاطه وثقله ومتاعه فحول إلى الحسين عليه السلام وقال لإمرأته : أنت طالق فإني لا أحب أن يصيبك بسببي إلا خير وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بنفسي وأقيه بروحي ثم أعطاها مالها وسلمها إلى بعض بني عمها ليوصلها إلى أهلها ، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت :

كان الله عوناً ومعيناً خار الله لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام فقال لأصحابه من أحب أن يصحبني وإلا فهو آخر العهد مني به .

ثم سار الحسين عليه السلام حتى بلغ زبالة فأتاه فيها خبر مسلم بن عقيل فعرف بذلك جماعة ممن تبعه فتفرق عنه أهل الأطماع والإرتياب وبقي معه أهله وخيار الأصحاب .

قال الراوى : وارتج الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل وسالت الدموع كل مسيل ثم إن الحسين عليه السلام سار قاصداً لما دعاه الله فلقيه الفرزدق الشاعر فسلم عليه وقال يا ابن رسول الله كيف تركن إلى أهل الكوفة وهم الذين قتلوا إبن عمك مسلم بن عقيل وشيعته .

قال فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً ثم قال : رحم الله مسلماً فلقد صار إلى روح الله وريحانه وجنته ورضوانه ، أما إنه قد قضى ما عليه وبقي ما علينا ثم أنشأ يقول :

فإن تكن الدنيا تعد نفيسة	فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أنشئت	فقتل إمرء بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً	فقلة حرص المرء في السعى أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها	فما بال متروك به المرء يبخل

قال الراوي : وكتب الحسين عليه السلام كتاباً إلى سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجية ورفاعة بن شداد وجماعة من الشيعة بالكوفة وبعث به مع قيس بن مسهر الصيداوي فلما قارب دخول الكوفة إعترضه الحصين بن نمير صاحب عبيد الله بن زياد (لع) ليفتشه فأخرج قيس الكتاب ومزقه فحمله الحصين بن نمير إلى عبيد الله بن زياد ، فلما مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وإبنه . قال : فلماذا خرقت الكتاب ، قال : لئلا تعلم ما فيه . قال : وممن الكتاب وإلى من ؟ قال : من الحسين عليه السلام إلى جماعة من أهل الكوفة لا أعرف أسمائهم ، فغضب إبن زياد وقال : والله لا تفارقني حتى تخبرني باسماء هؤلاء القوم أو تصعد المنبر فتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه ، وإلا قطعتك إرباً إرباً ، فقال قيس أما القوم فلا أُخبرك بأسمائهم وأما لعن الحسين عليه السلام وأبيه وأخيه فأفعل فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأكثر من الترحم على علي والحسن والحسين عليهم السلام ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه ولعن عتاة بني أُمية عن آخرهم .

ثم قال أيها الناس أنا رسول الحسين عليه السلام اليكم وقد

خلفته بموضع كذا فأجيبوه . فأُخبر ابن زياد بذلك فأمر بإلقائه من أعالي القصر ، فأُلقي من هناك فمات فبلغ الحسين عليه السلام موته فاستعبر بالبكاء ثم قال اللهم إجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً وأجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك إنك على كل شيء قدير ، وروي إن هذا الكتاب كتبه الحسين عليه السلام من الحاجز وقيل غير ذلك .

قال الراوي : وسار الحسين عليه السلام حتى صار على مرحلتين من الكوفة فإذا بالحر بن يزيد في ألف فارس ، فقال له الحسين عليه السلام : ألنا أم علينا ؟ فقال : بل عليك يا أبا عبد الله . فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم تردد الكلام بينهما حتى قال له الحسين عليه السلام : فإذا كنتم على خلاف ما أتتني به كتبكم وقدمت به عليّ رسلكم فإنني أرجع إلى الموضع الذي أتيت منه فمنعه الحر وأصحابه من ذلك . وقال : بل خذ يا إبن رسول الله طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يوصلك إلى المدينة لأعتذر أنا إلى ابن زياد بأنك خالفتني في الطريق فتياسر الحسين عليه السلام حتى وصل إلى عذيب الهجانات قال : فورد كتاب عبيد الله بن زياد (لع) إلى الحر يلومه في أمر الحسين عليه السلام ويأمره بالتضييق عليه فعرض له الحر وأصحابه ومنعوه من السير فقال له

الحسين عليه السلام : ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق . فقال له الحر بلى ، ولكن كتاب الأمير عبيد الله قد وصل يأمرني فيه بالتضييق وقد جعل علي عيناً يطالبني بذلك .

قال الراوي : فقام الحسين عليه السلام خطيباً في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليه ثم قال : إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حذاء ولم تبق منه إلا صبابة كصبابة الأناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون إلى الحق لا يعمل به وإلى الباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً فإني لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما ، فقام زهير بن القين وقال : قد سمعنا هداك الله يا ابن رسول الله مقالتك ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلدين لآثرنا النهوض معك على الإقامة .

وقال الراوي : وقام هلال بن نافع البجلي فقال : والله ما كرهنا لقاء ربنا وإنا على نياتنا وبصائرنا نوالي من والاك ونعادي من عاداك ، قال : وقام برير بن خضير فقال والله يا ابن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك وتقطع فيك أعضائنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة .

وصول الحسين (ع) إلى كربلاء

قال الراوي : ثم إن الحسين عليه السلام قام وركب وسار وكلما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أخرى حتى بلغ كربلاء وكان ذلك في اليوم الثاني من المحرم فلما وصلها قال ماإسم هذه الأرض فقيل كربلاء فقال عليه السلام اللهم إني أعوذ بك من الكرب والبلاء ثم قال هذا موضع كرب وبلاء إنزلوا هاهنا محط رحالنا ومسفك دمائنا وهنا محل قبورنا بهذا حدثني جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنزلوا جميعاً ونزل الحر وأصحابه ناحية وجلس الحسين عليه السلام يصلح سيفه ويقول :

يا دهر أُفٍّ لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من طالبٍ وصاحبٍ قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وكل حيٍّ سالك سبيل	ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنما الأمر إلى الجليل

قال الراوي : فسمعت زينب بنت فاطمة عليها السلام ذلك فقالت : يا أخي هذا كلام من أيقن بالقتل ، فقال عليه السلام نعم يا أُختاه فقالت زينب واثكلاه ينعى الحسين عليه السلام إليَّ نفسه قال : وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب وجعلت أُم كلثوم تنادي وامحمداه ، واعلياه ، واأُماه ، واأخاه ، واحسيناه ، واضيعتنا بعدك يا أبا عبد

الله . قيل فعزاها الحسين وقال لها : يا أُختاه تعزي بعزاء الله فــإن سكــان السمــوات يفنـون وأهــل الأرض كلهم يمـوتون وجميـع البريـة يهلكون ثم قـال : يا أُختـاه يا أم كلثـوم ، وأنت يا زينب وأنت يـا فـاطمـة وأنت يـا ربـاب انـظرن إذا أنـا قتلت فــلا تشققن علي جيباً ولا تخمشن علي وجهاً ولا تقلن هجراً .

وروي من طريق آخر أن زينب لمـا سمعت مضمون الأبيات وكانت في موضع آخر منفردة مـع النساء والبنـات خرجت حاسرة تجر ثوبها حتى وقفت عليه وقالت واثكلاه ليت المـوت أعدمني الحيـات اليوم مـاتت أُمي فاطمـة ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يـا خليفة المـاضيـن وثمـال الباقين فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال يا أُختاه . لا يذهبن بحلمـك الشيطان ، فقـالت : بـأبي وأُمي أستقتـل نفسي لك الفداء فردت غصته وترقرقت عيناه بالدموع ثم قال لو ترك القطا ليلاً لنام ، فقـالت: يا ويلتـاه أفتغتصب نفسك إغتصاباً ، فذلك أقـرح قلبي وأشد على نفسي ثم أهـوت إلى جيبهـا فشقتـه وخـرت مغشيـة عليهـا ، فقـام عليه السلام فصب عليهـا الماء حتى أفـاقت ثم عزاهـا عليه السلام بجهـده وذكـرهـا المصيبـة بمـوت أبيـه وجـده صلوات الله عليهم أجمعين .

ومما يمكن أن يكون سبباً لحمل الحسين عليه السلام لحرمه وعياله إنه لو تركهن عليه السلام بالحجاز أو غيرها من البلاد كان يزيد بن معاوية عليهما لعائن الله قد أنفذ ليأخذهن إليه وصنع بهن من الإستيصال وسيء الأعمال ما يمنع الحسين عليه السلام من الجهاد والشهادة ويمتنع عليه السلام بأخذ يزيد بن معاوية لهن عن مقامات السعادة .

المسلك الثاني
في وصف حال القتال
ومـا يقرب من تلك الحال

قال الراوي : وندب عبيد الله بن زيـاد أصحابـه إلى قتـال الحسين عليه السلام فـاتبعـوه وإستخف قـومـه فـأطـاعـوه واشترى من عمر بن سعد آخرتـه بدنيـاه ودعاه إلى ولايـة الحرب فلباه وخرج لقتال الحسين عليه السلام في أربعـة الآف فارس واتبعه ابن زياد بالعسـاكر (لـع) حتى تكملت عنده إلى ست ليـال خلون من محـرم عشـرون ألف فـارس فضيقـوا على الحسين عليه السلام حتى نـال منـه العـطش ومن أصحابه فقام عليه السلام واتكى على قائم سيفـه ونادى بـأعلى صوته ، فقال : أُنشدكم الله هل تعرفـونني ؟ قالـوا : نعم أنت ابن رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسبطه . قـال : أُنشـدكم الله هـل تعلمون إن جـدي رسول الله ، قـالوا : اللهم نعم ، قـال : أُنشـدكم الله هـل تعلمـون إن أبي علي بن أبي طـالب عليه السلام ؟ قالـوا : اللهم نعم ، قـال : أُنشـدكم الله

هــل تعلمــون إن أمي فــاطمـة الــزهــراء بنت محمــد المصـطفى صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قالـوا : اللهم نعم ، قال : أنشـدكم الله هل تعلمون إن جدتي خديجـة بنت خويلد أول نسـاء الأمة إسلامـاً ؟ قالـوا : اللهم نعم ، قال : أنشـدكم هل تعلمـون إن حمزة سيـد الشهداء عم أبي ؟ قـالوا : اللهم نعم ، قال : أنشدكم الله هل تعلمون إن جعفر الطيار في الجنة عمي ؟ قالوا : اللهم نعم ، قال : هـل تعلمون إن هـذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنـا متقلده ؟ قـالـوا : اللهم نـعم ، قـال: أنـشــدكم الله هــل تـعـلمــون إن هــذه عمـامـة رسـول الله أنـا لابسهـا ؟ قـالــوا : اللَّهُمَّ نعم ، قـال : أنشدكم الله هـل تعلمون إن علياً عليه السلام كـان أول القوم إسلاماً وأعلمهم علماً وأعظمهم حلماً وإنه ولي كل مؤمن ومؤمنـة ؟ قالـو : اللهم نعم ، قال : فبم تستحلون دمي وأبي عليه السلام الذائد عن الحوض يذود عنـه رجالا كما يذاد البعير الصادر عن الماء ولواء الحمد في يـد أبي يوم القيامة ، قـالوا : قـد علمنا ذلـك كله ونحن غير تاركيك حتى تـذوق الموت عـطشاً ، فلمـا خطب هـذه الخـطبـة وسمـع بنـاتـه وأختـه زينب كـلامـه بكين ونـدبن ولـطمن وارتفعت أصـواتهن فوجـه إليهن أخاه العبـاس وعلياً إبنـه وقال لهما سكتاهن فلعمري ليكثرن بكائهن .

قـال الـراوي : وورد كتـاب عبيـد الله بن زيـاد على

عمر بن سعد يحثه على تعجيل القتال ويحذره من التأخير والإهمال فركبوا نحو الحسين عليه السلام وأقبل شمر بن ذي الجوشن (لع) فنادى بنو أُختي عبد الله وجعفر والعباس وعثمان فقال الحسين عليه السلام أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنه بعض أخوالكم فقالوا له ما شأنك فقال يا بني أُختي أنتم آمنون فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين عليه السلام والزموا طاعة أمير المؤمنين يزيد . قال : فناداه العباس بن علي عليه السلام تبت يداك ولعن ما جئتنا به من أمانك يا عدو الله أتأمرنا أن نترك أخانا وسيدنا الحسين بن فاطمة عليهما السلام وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء . قال : فرجع الشمر (لع) إلى عسكره مغضبا .

قال الراوي : ولما رأى الحسين عليه السلام حرص القوم على تعجيل القتال وقلة انتفاعهم بمواعظ الفعال والمقال قال لأخيه العباس عليه السلام إن إستطعت أن تصرفهم عنا في هذا اليوم فافعل لعلنا نصلي لربنا في هذه الليلة فإنه يعلم إني أُحب الصلاة له وتلاوة كتابه .

قال الراوي فسألهم العباس ذلك فتوقف عمر بن سعد (لع) فقال عمرو بن الحجاج الزبيدي والله لو إنهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم فكيف وهم من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأجابوهم إلى ذلك .

قـال الـراوي : وجلس الحسين عليه السلام فـرقـد ثم إستيقظ ، فقـال : يـا أُختـاه إني رأيت السـاعـة جـدي محمـد صلى الله عليه وآله وسلم وأبي عليـاً وأُمي فـاطمـة الـزهـراء وأخي الحسن وهم يقولون يـا حسين إنك رائـح إلينا عن قـريب وفي بعض الروايات غداً .

قال الراوي : فلطمت زينب وجهها وصاحت وبكت فقال لها الحسين : مهلاً لا تشمتي القوم بنا ثم جاء الليل فجمـع الحسين عليه السلام أصحابـه فحمد الله وأثنى عليـه ثم أقبـل عليهم فقـال : أمـا بعـد . فـإني لا أعلم أصحـابـاً أصلح منكم ولا أهـل بيت أبـر ، ولا أفضـل من أهـل بيتي ، فجـزاكم الله جميعـاً عني خيـراً وهـذا الليـل قـد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كل رجـل منكم بيد رجـل من أهل بيتي وتفرقوا في سواد هـذا الليل وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيـري . فقال لـه إخوتـه وأبناؤه ، وأبناء عبد الله بن جعفر ولم نفعل ذلـك ؟ لنبقى بعدك لا أرانـا الله ذلك أبـداً وبـدأهم بـذلـك القـول العبـاس بن علي عليه السلام ثم تابعوه .

قـال الـراوي : ثم نـظر إلى بني عقيـل حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم إذهبوا فقد أذنت لكم ، وروى من طريق آخر قـال فعندهـا تكلم إخوتـه وجميع أهـل بيته ،

وقالوا : يا ابن رسول الله فما يقول الناس لنا وماذا نقول لهم إنا تركنا شيخنا وكبيرنا وابن بنت نبينا لم نرم معه بسهم ولم نطعن معه برمح ولم نضرب بسيف لا والله يا إبن رسول الله لا نفارقك أبداً ولكنا نقيك بأنفسنا حتى نقتل بين يديك ونرد موردك فقبح الله العيش بعدك ثم قام مسلم بن عوسجة وقال نحن نخليك هكذا وننصرف عنك ، وقد أحاط بك هذا العدو لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمة بيدي ولو لم يكن لي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أُفارقك أو أموت معك . قال وقام سعيد بن عبد الله الحنفي فقال : لا والله يا ابن رسول الله لا نخليك أبداً حتى يعلم الله أنا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمد صلى الله عليه واله وسلم ولو علمت إني أقتل فيك ثم أُحي ثم أُذرى يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى القى حمامي دونك وكيف لا أفعل ذلك وإنما هي قتلة واحدة ثم أنال الكرامة التي لا إنقضاء لها أبداً ثم قام زهير بن القين وقال : والله ياابن رسول الله لوددت إني قتلت ثم نشرت ألف مرة وإن الله تعالى قد دفع القتل عنك وعن هؤلاء الفتية من إخوانك وولدك وأهل بيتك وتكلم جماعة من أصحابه بنحو ذلك ، وقالوا أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا ، فإذا نحن قتلنا بين يديك

نكون قد وفينا لربنا وقضينا ما علينا وقيل لمحمد بن بشير الحضرمي في تلك الحال قد أُسر إبنك بثغر الري فقال : عند الله أحتسبه ونفسي ما كنت أحب أن يُؤسر وأنا أبقى بعده فسمع الحسين عليه السلام قوله فقال : رحمك الله أنت في حل من بيعتي فأعمل في فكاك إبنك ، فقال : أكلتني السباع حياً إن فارقتك . قال : فأعطِ إبنك هذه الأثواب والبرود يستعين بها في فداء أخيه فأعطاه خمسة أثواب قيمتها ألف دينار .

قال الراوي : وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ولهم دوي كدوي النحل ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد فعبر عليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد إثنان وثلاثون رجلاً وكذا كانت سجية الحسين عليه السلام في كثرة صلاته وكمال صفاته .

وذكر ابن عبد ربه في الجزء الرابع من كتاب العقد ، قال قيل لعلي بن الحسين عليهما السلام ما أقل ولد أبيك ، فقال : العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء .

قال : فلما كان الغداة أمر الحسين عليه السلام بفسطاط فضرب فأمر بجفنة فيها مسك كثير وجعل عندها نورة ثم دخل ليطلي فروى أن برير بن خضير الهمداني وعبد

الرحمن بن عبد ربه الأنصاري وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعد فجعل برير يضاحك عبد الرحمن فقال له عبد الرحمن : يا برير أتضحك ما هذه ساعة ضحك ولا باطل ، فقال برير : لقد علم قومي إنني ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً وإنما أفعل ذلك إستبشارا بما نصير إليه فوالله ما هو إلا أن نلقي هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة ثم نعانق الحور العين .

قال الراوي : وركب أصحاب عمر بن سعد(لع) فبعث الحسين عليه السلام برير بن خضير فوعظهم فلم يستمعوا وذكرهم فلم ينتفعوا فركب الحسين عليه السلام ناقته وقيل فرسه فاستنصتهم فأنصتوا ، فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلى على محمد صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الملائكة والأنبياء والرسل وأبلغ في المقال ثم قال : تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً استصرختمونا والهين فاصرخناكم موجفين سللتم علينا سيفاً لنا في ايمانكم وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدونا وعدوكم فأصبحتم البا لأعدائكم على أوليائكم بغير عدل افشوه فيكم ولا أمل أصبح لكم فيهم فهلالكم الويلات تركتمونا والسيف مشيم والجاش طامن والرأي لما يستحصف ولكن أسرعتم إليها كطيرة الدبا وتداعيتم إليها كتهافت الفراش فسحقاً يا عبيد الأمة

وشذاذ الأحزاب ونبذة الكتاب ومحرفي الكلم وعصبة الآثام ونفثة الشيطان ومطفىء السنن أهؤلاء تعضدون وعنا تتخاذلون أجل والله الغدر فيكم قديم وشجت إليه أصولكم وتأزرت عليه فروعكم فكنتم أخبث ثمر شجاً للناظر وآكلة للغاصب ألا وإن الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنين وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام ألا وإني زاحف بهذه الأسرة مع قلة العدد وخذلة الناصر ثم أوصل كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي .

فإن نهزم فهزامون قدما — وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جنن ولكن — منايانا ودولة آخرينا
إذا ما الموت رفع عن أناس — كلاكله أناخ بآخرينا
فأفنى ذلكم سروات قومي — كما أفنى القرون الأولينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا — ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا — سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم أيم الله لا تلبثون بعدها إلا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى وتقلق بكم قلق المحور عهد عهده إلى أبي عن جدي فاجمعوا أمركم وشركائكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي

ولا تنظرون ، إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم ، اللهم احبس عنهم قطر السماء وابعث عليهم سنين كسني يوسف وسلط عليهم غلام ثقيف فيسومهم كاساً مصبرة فإنهم كذبونا وخذلونا وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير .

ثم نزل عليه السلام ودعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المرتجز فركبه وعبى أصحابه للقتال .

فروي عن الباقر عليه السلام إنهم كانوا خمسة وأربعين فارساً ومائة راجل وروي غير ذلك .

قال الراوي : فتقدم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الحسين عليه السلام بسهم وقال : إشهدوا لي عند الأمير اني أول من رمى وأقبلت السهام من القوم كأنها القطر ، فقال عليه السلام لأصحابه قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بد منه فإن هذه السهام رسل القوم إليكم فاقتتلوا ساعة من النهار حملة وحملة حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة .

قال فعندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته وجعل يقول اشتد غضب الله تعالى على اليهود إذ جعلوا له ولداً واشتد غضب الله تعالى على النصارى إذ جعلوه

ثالث ثلاثة ، واشتد غضبه على المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه واشتد غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيهم . أما والله لا أُجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقى الله تعالى وأنا مخضب بدمي .

فروي عن مولانا الصادق عليه السلام أنه قال : سمعت أبي يقول لما التقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد (لع) وقامت الحرب أنزل الله تعالى النصر حتى رفرف على رأس الحسين عليه السلام ثم خير بين النصر على أعدائه وبين لقاء الله فاختار لقاء الله . رواها أبو طاهر محمد بن الحسين النرسي في كتاب معالم الدين .

مبارزة أصحاب الحسين (ع) وإستشهادهم

قال الراوي : ثم صاح عليه السلام أما مِن مغيث يغيثنا لوجه الله أما مِن ذاب يذب عن حرم رسول الله ، قال فإذا الحر بن يزيد قد أقبل إلى عمر بن سعد فقال : أمقاتل أنت هذا الرجل ! قال : أي والله قتالاً أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي ، قال : فمضى الحر ووقف موقفاً من أصحابه وأخذه مثل الأفكل ، فقال له المهاجر بن أُوس : والله إن أمرك لمريب ولو قيل لي من

أشجع أهل الكوفة لما عدوتك فما هـذا الذي أرى منك فقال والله إني أُخيِّر نفسي بين الجنة والنار فوالله لا أختار على الجنة شيئاً ولو قطعت واحرقت ، ثم ضرب فرسه قاصداً إلى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول اللهم إليك أنبت فتب عليَّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك ، فقال للحسين عليه السلام : جعلت فداك أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجع بك وما ظننت أن القوم يبلغون منك ما أرى وأنا تائب إلى الله تعالى فهل ترى لي من توبة ؟ فقال الحسين عليه السلام نعم يتوب الله عليك . فنزل وقال : أنا لك فارساً خير مني لك راجلاً وإلى النزول يصير آخر أمري .

ثم قال : فإذا كنت أول من خرج عليك فأذن لي أن أكون أول قتيل بين يديك لعلي أكون ممن يصافح جدك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم غداً في القيامة .

قال جامع الكتاب (ره) إنما أراد أول قتيل من الآن لأن جماعة قتلوا قبله كما ورد فأذن له فجعل يقاتل أحسن قتال حتى قتل جماعة من شجعان وأبطال ثم أُستشهد فحُمِلَ إلى الحسين عليه السلام فجعل يمسح التراب عن وجهه ويقول أنت الحر كما سمتك أُمك في الدنيا والآخرة .

قال الراوي : وخرج برير بن خضير وكان زاهداً

عابداً فخرج إليه يزيد بن المغفل فاتفقا على المباهلة إلى الله تعالى في أن يقتل المحق منهما المبطل وتلاقيا فقتله برير ولم يزل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

قال : وخرج وهب بن جناح الكلبي فأحسن في الجلاد وبالغ في الجهاد وكان معه إمرأته ووالدته فرجع إليهما وقال : يا أُماه أرضيت أم لا ؟ فقالت الأُم : ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام وقالت إمرأته بالله عليك لا تفجعني بنفسك ، فقالت له أُمه : يا بني أُغرب عن قولها وارجع فقاتل بين يدي ابن نبيك تنل شفاعة جده يوم القيامة ، فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه فأخذت إمرأته عموداً فأقبلت نحوه وهي تقول فداك أبي وأُمي قاتل دون الطيبين حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأقبل كي يردها إلى النساء فأخذت بجانب ثوبه وقالت لن أعود دون أن أموت معك ، فقال الحسين عليه السلام : جزيتم من أهل بيتي خيراً ارجعي إلى النساء رحمك الله فانصرفت اليهن ولم يزال الكلبي يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

ثم خرج مسلم بن عوسجة فبالغ في قتال الأعداء وصبر على أهوال البلاء حتى سقط إلى الأرض وبه رمق فمشى إليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب بن مظاهر فقال له

الحسين : رحمك الله يا مسلم فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ودنا منه حبيب وقال : عز عليَّ مصرعك يا مسلم ابشر بالجنة ، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً بشرك الله ثم قال له حبيب لولا إنني أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصى إليَّ بكل ما أهمك ، فقال له مسلم فإني أُوصيك بهذا وأشار إلى الحسين عليه السلام فقاتل دونه حتى تموت ، فقال له حبيب : لأنعمنك عيناً ثم مات رضوان الله عليه .

فخرج عمرو بن قرطة الأنصاري فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له فقاتل قتال المشتاقين إلى الجزاء وبالغ في خدمة سلطان السماء حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد وجمع بين سداد وجهاد وكان لا يأتي إلى الحسين عليه السلام سهم إلا أتقاه بيده ولا سيف إلا تلقاه بمهجته فلم يكن يصل إلى الحسين سوء حتى أُثخن بالجراح فالتفت إلى الحسين عليه السلام وقال : يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوفيت ، فقال : نعم أنت أمامي في الجنة فاقرأ رسول الله عني السلام وأعلمه إني في الأثر فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

ثم برز جون مولى أبي ذر وكان عبداً أسود فقال له الحسين عليه السلام أنت في إذن مني فإنما تبعتنا طلباً للعافية

فلا تبتل بطريقنا ، فقال : يا بن رسول الله أنا في الـرخاء الحس قصاعكم وفي الشدة أخذلكم والله إن ريحي لنتن وإن حسبي للئيم ولوني لأسود فتنفس علي بالجنة فتطيب ريـحي ويـشـرف حسـبي ويـبيض وجـهـي ، لا والله لا أفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم ثم قاتل رضوان الله عليه حتى قتل .

قال الراوي : ثم برز عمرو بن خالد الصيداوي فقال الحسين عليه السلام يا أبا عبـد الله جعلت فداك قـد هممت أن الحق بـأصحابـك وكـرهت أن أتخلف فـأراك وحيـداً بين أهلك قتيلاً . فقال لـه الحسين عليه السلام تقدم فـإنا لاحقـون بك عن ساعة . فتقدم فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه .

قال الراوي : وجاء حنظلة بن أسعـد الشامي فـوقف بين يدي الحسين يقيه السهـام والرمـاح والسيوف بـوجهه ونحـره وأخذ ينـادي يا قـوم إني أخـاف عليكم مثـل يـوم الأحـزاب مثـل دأب قـوم نـوح وعـاد وثمـود والـذين من بعدهم ومالله يريد ظلماً للعباد ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبـرين مالكم من الله من عـاصم يا قوم لا تقتلوا حسيناً فيسحتكم الله بعـذاب وقد خـاب من إفترى ثم إلتفت إلى الحسين عليه السلام فقال له : أفلا نـروح إلى ربنا ونلحق بإخواننا بلى رح إلى مـا هو خيـر لك من

الدنيا وما فيها . وإلى ملك لا يبلى ، فتقدم فقاتل قتال الأبطال وصبر على إحتمال الأهوال حتى قتل رضوان الله عليه .

قال وحضرت صلاة الظهر فأمر الحسين عليه السلام زهير بن القين وسعيد بن عبد الله الحنفي أن يتقدما أمامه بنصف من تخلف معه ثم صلى بهم صلاة الخوف فوصل إلى الحسين عليه السلام سهم فتقدم سعيد بن عبد الله الحنفي ووقف يقيه بنفسه ما زال ولا تخطى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول اللهم العنهم لعن عاد وثمود اللهم أبلغ نبيك عني السلام وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح فإني أردت ثوابك في نصر ذرية نبيك ثم قضى نحبه رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح .

قال الراوي : وتقدم سويد بن عمر بن أبي المطاع وكان شريفاً كثير الصلاة فقاتل قتال الأسد الباسل وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتى سقط بين القتلى وقد أُثخن بالجراح فلم يزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون قُتِلَ الحسين عليه السلام فتحامل وأخرج سكيناً من خفه وجعل يقاتلهم بها حتى قتل رضوان الله عليه .

قال وجعل أصحاب الحسين عليه السلام يسارعون إلى

القتل بين يديه وكانوا كما قيل فيهم :

قوم إذا نودوا لدفع ملمة ... والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع كأنهم ... يتهافتون إلى ذهاب الأنفس

شهادة أهل بيته (ع)

فلما لم يبق معه سوى أهل بيته خرج علي بن الحسين عليه السلام وكان من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً فإستأذن أباه في القتال فأذن له ثم نظر إليه نظرة آيس منه وأرخى عليه السلام عينه وبكى ثم قال : اللهم أشهد فقد برز اليهم غلام أشبه الناس خَلْقَاً وخُلقاًومنطقاً برسولك صلى الله عليه وآله وسلم وكنا إذا اشتقنا إلى نبيك نظرنا إليه فصاح وقال يا بن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي فتقدم نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً ثم رجع إلى أبيه وقال يا أبت العطش قد قتلني وثقل الحديد قد أجهدني فهل إلى شربة من الماء سبيل فبكى الحسين عليه السلام وقال واغوثاه!يا بني قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقي جدك محمد صلى الله عليه وآله وسلم فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها أبداً فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم القتال فرماه منقذ بن مرة العبدي (لع) بسهم فصرعه فنادى يا أبتاه عليك مني السلام هذا جدي يقرئك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا ثم شهق شهقة فمات فجاء

الحسين عليه السلام حتى وقف عليه ووضع خده على خده وقال قتل الله قوماً قتلوك ما أجرأهم على الله وعلى انتهاك حرمة الرسول على الدنيا بعدك العفا .

قال الراوي : خرجت زينب بنت علي عليه السلام تنادي يا حبيباه يا بن أخاه وجاءت فأكبت عليه فجاء الحسين عليه السلام فأخذها وردها إلى النساء ثم جعل أهل بيته عليهم السلام يخرج الرجل منهم بعد الرجل حتى قتل القوم منهم جماعة فصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال : صبراً يا بني عمومتي صبراً يا أهل بيتي فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً .

قال الراوي : وخرج غلام كان وجهه شقة قمر فجعل يقاتل فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه فوقع الغلام لوجهه وصاح يا عماه فجلى الحسين عليه السلام كما يجلي الصقر ثم شد شدة ليث أغضب فضرب ابن فضيل بالسيف فاتقاها بالساعد فأطنه من لدن المرفق فصاح صيحة سمعه أهل العسكر وحمل أهل الكوفة ليستنقذوه فوطأته الخيل حتى هلك .

قال وانجلت الغبرة فرأيت الحسين عليه السلام قائما على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين عليه السلام يقول بُعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدك

وأبوك ثم قال عزَّ والله على عمك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك صوته هذا يوم والله كثر واتره وقل ناصره ثم حمل عليه السلام الغلام على صدره حتى القاه بين القتلى من أهل بيته .

قال ولما رأى الحسين عليه السلام مصارع فتيانه وأحبته عزم على لقاء القوم بمهجته ونادى هل من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هل من موحد يخاف الله فينا هل من مغيث يرجو الله بإغاثتنا هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا فارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدم إلى باب الخيمة وقال لزينب : ناوليني ولدي الصغير حتى أودعه ، فأخذه وأومأ إليه ليقبله فرماه حرملة بن الكاهل الأسدي (لع) بسهم فوقع في نحره فذبحه فقال لزينب : خذيه ثم تلقى الدمَ بكفيه فلما إمتلأتا رمى بالدم نحو السماء ثم قال هوّن علي ما نزل بي إنه بعين الله .

قال الباقر عليه السلام : فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض .

قال الراوي : واشتد العطش بالحسين عليه السلام فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوه بين يديه فاعترضته خيل ابن سعد فرمى رجل من بني دارم الحسين عليه السلام بسهم فأثبته في حنكه الشريف فانتزع عليه السلام السهم وبسط يديه

تحت حنكه حتى امتلأت راحتاه من الدم ثم رمى به وقال : اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك ثم إقتطعوا العباس عنه وأحاطوا به من كل جانب حتى قتلوه قدس الله روحه فبكى الحسين عليه السلام لقتله بكاء شديداً وفي ذلك يقول الشاعر :

أحق الناس أن يبكى عليه | فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده علي | أبو الفضل المضرج بالدماء
ومن واساه لا يثنيه شيء | وجادله على عطش بماء

قال الراوي : ثم إن الحسين دعا الناس إلى البراز فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل مقتلة عظيمة وهو في ذلك يقول :

القتل أولى من ركوب العار | والعار أولى من دخول النار

قال بعض الرواة فوالله ما رأيت مكسوراً قط قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً منه وإن كانت الرجال لتشد عليه فيشد عليها بسيفه فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شد فيه الذئب ولقد كان يحمل فيهم ولقد تكملوا ثلاثين ألفاً فيهزمون بين يديه كأنهم الجراد المنتشر ثم يرجع إلى مركزه وهو يقول لا حول ولا قوة إلا بالله .

قال الراوي ولم يزل عليه السلام يقاتلهم حتى حالوا بينه وبين رحله فصاح عليه السلام ويلكم يا شيعة آل أبي سفيان إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه وارجعوا إلى احسابكم إن كنتم عربا كما تزعمون ، قال فناداه الشمر (لع) ما تقول ياابن فاطمة . فقال إني أقول أُقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح فامنعوا عتاتكم وجهالكم وطغاتكم من التعرض لحرمي ما دمت حياً ، فقال شمر (لع) : لك ذلك يا بن فاطمة فقصدوه بالحرب فجعل يحمل عليهم ويحملون عليه وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجدي حتى أصابه إثنان وسبعون جراحة فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب فوقع على قلبه فقال : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم رفع رأسه إلى السماء وقال إلهي أنت تعلم إنهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيره ، ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره فانبعث الدم كأنه ميزاب فضعف عن القتال ووقف فكلما أتاه رجل إنصرف عنه كراهة أن يلقي الله بدمه حتى جاءه رجل من كندة يقال له مالك بن النسر فشتم الحسين عليه السلام وضربه على رأسه الشريف بالسيف

فقطع البرنس ووصل السيف إلى رأسه فامتلأ البرنس دماً .

قال الراوي : فاستدعى الحسين عليه السلام بخرقة فشد بها رأسه واستدعى بقلنسوة فلبسها وأعتم . فلبثوا هنيئة ثم عادوا إليه وأحاطوا به فخرج عبد الله بن الحسن بن علي عليه السلام وهو غلام لم يراهق من عند النساء يشتد حتى وقف إلى جنب الحسين فلحقته زينب بنت علي عليها السلام لتحبسه فأبى وامتنع إمتناعاً شديداً فقال لا والله لا أُفارق عمي فأهوى بحر بن كعب وقيل حرملة بن كاهل إلى الحسين عليه السلام بالسيف . فقال له الغلام ويلك يابن الخبيثة أتقتل عمي فضربه بالسيف فاتقى الغلام بيده فأطنها إلى الجلد فإذا هي معلقة فنادى الغلام يا أُماه فأخذه الحسين عليه السلام وضمه إليه وقال يابن أخي على ما نزل بك وأحتسب في ذلك الخير فإن الله يلحقك بآبائك الصالحين ، قال فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه وهو في حجر عمه الحسين عليه السلام .

مقتل الحسين (ع)

ثم إن شمر بن ذي الجوشن حمل على فسطاط الحسين عليه السلام فطعنه بالرمح ثم قال : عليّ بالنار أحرقه على من فيه ، فقال الحسين عليه السلام : يابن ذي الجوشن

أنت الداعي بالنار لتحرق على أهلي ، أحرقك الله بالنار ، وجاء شبث فوبخه فاستحا وانصرف .

قال الراوي وقال الحسين عليه السلام ابغوا لي ثوباً لا يرغب فيه أجعله تحت ثيابي لئلا أُجرد منه فأُتي بتبان فقال لا ذاك لباس من ضربت عليه الذلة فخرقه وجعله تحت ثيابه فلما قتل عليه السلام جردوه منه ثم استدعى الحسين عليه السلام بسراويل من حبرة ففرزها ولبسها وإنما فرزها لئلا يسلبها فلما قتل عليه السلام سلبها بحر بن كعب (لع) وترك الحسين عليه السلام مجرداً فكانت يدا بحر بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنهما عودان يابسان وتترطبان في الشتاء فتنضحان دماً وقيحاً إلى أن أهلكه الله تعالى .

قال ولما أُثخن الحسين عليه السلام بالجراح وبقي كالقنفذ طعنه صالح بن وهب المري على خاصرته طعنة فسقط الحسين عليه السلام عن فرسه إلى الأرض على خده الأيمن وهو يقول : بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ثم قام عليه السلام .

قال الراوي وخرجت زينب من باب الفساط وهي تنادي وأخاه واسيداه وأهل بيتاه ليت السماء أطبقت على الأرض وليت الجبال تدكدكت على السهل .

قال وصاح شمر بأصحابه ما تنتظرون بالرجل قال

وحملوا عليه من كل جانب فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرى وضرب الحسين عليه السلام زرعة فصرعه وضرب آخر على عاتقه المقدس بالسيف ضربة كبا عليه السلام بها لوجهه وكان قد أعيا وجعل ينوء ويكب فطعنه سنان ابن أنس النخعي في ترقوته ثم انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره ثم رماه سنان أيضاً بسهم فوقع السهم في نحره فسقط عليه السلام وجلس قاعداً فنزع السهم من نحره وقرن كفيه جميعاً فكلما امتلأتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته وهو يقول هكذا القي الله مخضباً بدمي مغصوبا على حقي ، فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه : إنزل ويحك إلى الحسين فأرحه قال فبدر إليه خولى ابن يزيد الأصبحي ليحتز رأسه فأرعد فنزل إليه سنان بن أنس النخعي (لع) فضرب بالسيف في حلقه الشريف وهو يقول والله إني لأجتز رأسك وأعلم إنك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخير الناس أباً وأُماً ، ثم أجتز رأسه المقدس المعظم وفي ذلك يقول الشاعر :

فأي رزية عدلت حسينا غداة تبيره كفا سنان

وروى أبو طاهر محمد بن الحسن الترسي في كتاب معالم الدين قال : قال أبو عبد الله عليه السلام لما كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان ضجت الملائكة إلى الله بالبكاء

وقـالت : يـارب هـذا الحسين عليه السلام صفيـك وابن بنت نبيك ، قال فـأقام الله ظـل القائم عليه السلام وقـال بهذا أنتقم لهذا .

وروى إن سنـاناً أخـذه المختـار فقـطع أنـامله أُنملة أُنملة ثم قطع يديه ورجليه وأغلى له قدراً فيها زيت ورماه فيها وهو يضطرب .

قـال الراوي فـارتفعت في السمـاء في ذلـك الـوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة فيهـا ريح حمـراء لا ترى فيهـا عين ولا أثر حتى ظن القوم إن العـذاب قد جـائهم فلبثوا كذلك ساعة ثم انجلت عنهم .

وروى هـلال بن نـافـع قـال : إني كنت واقفـاً مـع أصحاب عمر بن سعد (لع) إذ صرخ صارخ أبشـر أيـهـا الأميـر فهذا شمـر قتل الحسين عليه السلام قـال فخـرجت بين الصفين فوقفت عليه وإنه ليجود بنفسه فوالله مـا رأيت قط قتيلاً مضمخاً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهـا ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيئته عن الفكـرة في قتله فإستسقى في تلك الحـال ماء فسمعت رجـلاً يقول والله لا تـذوق الماء حتى تـرد الحاميـة فتشرب من حميمهـا فسمعته يقـول يـا ويلك أنـا لا أرد الحاميـة ولا أشرب من حميمهـا بـل أرد على جــدي رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسكن معــه في داره في

مقعد صدق عند مليك مقتدر وأشرب من ماء غير آسن وأشكو إليه ما ارتكبتم مني وفعلتم بي قال : فغضبوا بأجمعهم حتى كان الله لم يجعل في قلب واحد منهم من الرحمة شيئاً فأجتزوا رأسه وإنه ليكلمهم فتعجبت من قلة رحمتهم وقلت والله لا أُجامعكم على أمر أبداً .

قال ثم أقبلوا على سلب الحسين فأخذ قميصه إسحاق بن حوية الحضرمي فلبسه فصار أبرص وامتعط شعره .

وروي إنه وجد في قميصه مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنة سهم وضربة .

وقال الصادق عليه السلام وجد في الحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة وأخذ سراويله بحر بن كعب التيمي (لع) فروي أنه صار زمنا مقعداً من رجليه وأخذ عمامته أخنس بن مرثد بن علقمة الحضرمي وقيل جابر ابن يزيد الأودي (لع) فاعتم بها فصار معتوهاً وأخذ نعليه الأسود بن خالد (لع) وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي وقُطع اصبعه عليه السلام مع الخاتم وهذا أخذه المختار فقطع يديه ورجليه وتركه يتشحط في دمه حتى هُلِكَ . وأخذ قطيفة له عليه السلام كانت من خز قيس بن الأشعث ، وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد فلما قتل عمر وهبها المختار

لأبي عمرة قاتله ، وأخذ سيفه جميع بن الخلق الأودي وقيل رجل من بني تميم يقال له أسود بن حنظلة وفي رواية ابن أبي سعد إنه أخذ سيفه الفلافس النهشلي وزاد محمد بن زكريا إنه وقع بعد ذلك إلى بنت حبيب بن بديل وهذا السيف المنهوب المشهور ليس بذي الفقار فإن ذلك كان مذخوراً ومصوناً مع أمثاله من ذخائر النبوة والإمامة وقد نقل الرواة تصديق ما قلناه وصورة ما حكيناه .

قال الراوي : وجائت جارية من ناحية خيم الحسين عليه السلام فقال لها رجل يا أمة الله إن سيدك قتل ، قالت الجارية : فأسرعت إلى سيدتي وأنا أصيح فقمن في وجهي وصحن .

قال : وتسابق القوم على نهب بيوت آل الرسول وقرة عين البتول حتى جعلوا ينتزعون ملحفة المرئة على ظهرها وخرج بنات آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحريمه يتساعدن على البكاء ويندبن لفراق الحماة والأحباء .

وروى حميد بن مسلم قال : رأيت إمرأة من بني بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام وفسطاطهن وهم يسلبونهن أخذت سيفاً وأقبلت نحو

الفسطاط وقالت : يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لاحكم إلا الله يا لثارات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخذها زوجها وردها إلى رحله .

فقال الراوي : ثم أخرج النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلة وقلت بحق الله إلاَّ ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام فلما نظر النسوة إلى القتلى صِحْنَ وضربن وجوههن قال فوالله لا أنسى زينب بنت علي عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا حسين مرمل بالدماء مقطع الأعضاء وبناتك سبايا إلى الله المشتكى وإلى محمد المصطفى وإلى علي المرتضى وإلى فاطمة الزهراء وإلى حمزة سيد الشهداء يا محمداه هذا حسين بالعراء تسفى عليه الصبا قتيل أولاد البغايا واحزناه ، واكرباه ، اليوم مات جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا أصحاب محمداه هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا، وفي رواية: يا محمداه بناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفى عليّهم ريح الصبا وهذا حسين محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء ، بأبي من أضحى عسكره في يوم الإثنين نهباً ، بأبي من فسطاطه مقطع العرى ،

بأبي من لا غائب فيرتجى ولا جريح فيداوى ، بأبي من نفسي له الفداء ، بأبي المهموم حتى قضى ، بابي العطشان حتى مضى ، بابي من شيبته تقطر بالدماء ، بأبي من جده محمد المصطفى ، بأبي من جده رسول إلٰه السماء ، بأبي من هو سبط نبي الهدى ، بأبي محمد المصطفى ، بأبي خديجة الكبرى ، بأبي علي المرتضى عليه السلام ، بأبي فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين ، بأبي من ردت له الشمس وصلى .

قال الراوي : فأبكت والله كل عدو وصديق ثم إن سكينة إعتنقت جسد أبيها الحسين عليه السلام فاجتمعت عدة من الأعراب حتى جروها عنه .

قال الراوي : ثم نادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين عليه السلام فيواطىء الخيل ظهره وصدره فانتدب منهم عشرة وهم : إسحاق بن حوبة الذي سلب الحسين عليه السلام قميصه وأخنس بن مرثد ، وحكيم بن طفيل السنبسي ، وعمر بن صبيح الصيداوي ، ورجاء بن منقذ العبدي ، وسالم بن خثيمة الجعفي ، وواحظ بن ناعم ، وصالح بن وهب الجعفي ، وهاني بن شبث الحضرمي ، وأسيد بن مالك (لع) . فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضوا صدره وظهره .

قال الراوي : وجاء هؤلاء العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال : أسيد بن مالك أحد العشرة عليهم لعائن الله .

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر ‏ ‏ بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد : من أنتم ؟ قالوا : نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنا حناجر صدره ، قال : فأمر لهم بجائزة يسيرة .

قال أبو عمر الزاهد : فنظرنا إلى هؤلاء العشرة فوجدناهم جميعاً أولاد زناء وهؤلاء أخذهم المختار فشد أيديهم وأرجلهم بسكك الحديد وأوطأ الخيل ظهورهم حتى هلكوا .

وروى ابن رياح قال : رأيت رجلاً مكفوفاً قد شهد قتل الحسين عليه السلام فسئل عن ذهاب بصره ، فقال : كنت شهدت قتله عاشر عشرة غير إني لم أضرب ولم أرم فلما قتل رجعت إلى منزلي وصليت العشاء الأخيرة ونمت فأتاني آتٍ في منامي فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يدعوك . فقلت مالي وله فأخذ بتلابيبي وجرني إليه فإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم جالس في صحراء حاسر عن ذراعيه أخذ بحربة وملك قائم بين يديه وفي يده سيف من نار فقتل

أصحابي التسعة ، فكلما ضرب ضربة التهبت أنفسهم ناراً فدنوت منه ، وجثوت بين يديه ، وقلت : السلام عليك يا رسول الله ، فلم يرد علي ومكث طويلاً ثم رفع رأسه وقال يا عدو الله إنتهكت حرمتي وقتلت عترتي ولم ترع حقي ، وفعلت ما فعلت ؟ فقلت : والله يا رسول الله ما ضربت بسيف ولا طعنت برمح ولا رميت بسهم ، قال : صدقت ، ولكنك كثرت السواد أُدن مني ، فدنوت منه فإذا طست مملوء دماً ! فقال لي : هذا دم ولدي الحسين عليه السلام فكحلني من ذلك الدم فانتهيت حتى الساعة لا أُبصر شيئاً .

وروى عن الصادق عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليها السلام قبة من نور ويقبل الحسين عليه السلام ورأسه في يده فإذا رأته شهقت شهقة لا يبقى في الجمع ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بكى لها فيمثله الله عز وجل لها في أحسن صورة وهو يخاصم قتلته بلا رأس فيجمع الله عز وجل لها قتلته والمجهزين عليه ومن شركهم في قتله فاقتلهم حتى أتى على آخرهم ، ثم ينشرون فيقتلهم أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم ينشرون فيقتلهم الحسن عليه السلام ، ثم ينشرون فيقتلهم الحسين عليه السلام ، ثم ينشرون فلا يبقى أحد من ذريتنا إلا

قتلهم قتلة . فعند ذلك يكشف الغيظ وينسى الحزن .

ثم قال قال الصادق عليه السلام : رحم الله شيعتنا هم والله شيعتنا المؤمنون فقد والله شركونا في المصيبة بطول الحزن والحسرة .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال إذا كان يوم القيامة جائت فاطمة عليها السلام في لمة من نسائها فيقال لها أدخلي الجنة ، فتقول لا أدخل حتى أعلم ما صنع بولدي من بعدي . فيقال لها أُنظري في قلب القيامة فتنظر إلى الحسين عليه السلام قائماً ليس عليه رأس فتصرخ صرخة فأصرخ لصراخها وتصرخ الملائكة لصراخها .

وفي رواية : وتنادي واولداه واثمرة فؤاداه ، قال فيغضب الله عز وجل لها عند ذلك فيأمر ناراً يقال له هب هب ، قد أُوقد عليها ألف عام حتى إسودت لا يدخلها روح أبداً ولا يخرج منها غم أبداً فيقال : إلتقطي قتلة الحسين ، فتلتقطهم فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها ، وشهقت وشهقوا بها ، وزفرت وزفروا بها . فينطقون بالسنة ذلقة ناطقة يا ربنا بم أوجبت لنا النار قبل عبدة الأوثان ؟ فيأتيهم الجواب عن الله عز وجل : أن من علم ليس كمن لا يعلم . . .

روى هـذين الخبرين ابن بـابـويـه في كتـاب عقـاب الأعمـال ، ورأيت في المجلد الثلاثين من تـذييـل شيـخ المحدثين ببغداد محمد بن النجار في ترجمة فـاطمة بنت أبي العبـاس الأزدي بـإسنـاده عن طلحـة قـال : سمعت رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن مـوسى بن عمـران سئـل ربـه قال : يا رب إن أخي هارون مات فاغفر لـه . فأوحى الله إليه يا موسى بن عمران لـو سألتني في الأولين والآخـرين لاجبتـك مـا خـلا قـاتـل الحسـين بـن علي بـن أبي طالب عليه السلام .

المسلك الثالث
في الأمور المتأخرة عن قتله (ع)
وهي تمام ماأشرنا إليه

قال : ثم إن عمر بن سعد بعث برأس الحسين عليه السلام في ذلك اليوم وهو يوم عاشوراء مع خولى بن يزيد الأصبحي ، وحميد بن مسلم الازدي . إلى عبيد الله بن زياد وأمر برؤوس الباقين من أصحابه وأهل بيته فنظفت وسرح بها مع شمر بن ذي الجوشن (لع) وقيس بن الأشعث ، وعمرو بن الحجاج . فأقبلوا حتى قدموا بها إلى الكوفة وأقام بقية يومه واليوم الثاني إلى زوال الشمس ثم رحل بمن تخلف عن عيال الحسين عليه السلام وحمل نسائه صلوات الله عليه على إجلاس أقتاب الجمال بغير وطاء مكشفات الوجوه بين الأعداء وهن ودائع الأنبياء وساقوهن كما يساق سبى الترك والروم في أشد المصائب والهموم ولله در قائله :

يصلي على المبعوث من آل هاشم ويعزى بنوه إن ذا العجيب

وقال آخر :

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

وروي : إن أصحاب الحسين عليه السلام كانت ثمانية وسبعين رأساً فاقتسمتها القبائل لتقرب بذلك إلى عبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية (لع) فجائت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث . وجاءت هوازن باإثنى عشر رأساً وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن (لع) وجاءت تميم بسبعة عشر رأساً ، وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً ، وجاءت مذحج بسبعة رؤوس ، وجاء باقي الناس بثلاثة عشر رأساً .

قال الراوي : ولما إنفصل عمر بن سعد (لع) عن كربلاء خرج قوم بني أسد فصلوا على تلك الجثث الطواهر المرملة بالدماء ودفنوها على ما هي الآن عليه وسار ابن سعد بالسبى المشار إليه فلما قاربوا الكوفة إجتمع أهلها للنظر إليهن .

قال الراوي : فأشرفت إمرأة من الكوفيات فقالت من أي الأسارى أنتن فقلن نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فنزلت المرأة من سطحها فجمعت لهن ملاء وارزاً ومقانع وأعطتهن فتغطين .

قال الراوي : وكان مع النساء علي بن الحسين عليه السلام قد نهكته العلة والحسن بن الحسن المثنى وكان قد واسى عمه وإمامه في الصبر على ضرب السيوف وطعن الرماح وإنما أُتيت وقد أُثخن بالجراح .

وروى مصنف كتاب المصابيح أن الحسن بن الحسن المثنى قتل بين يدي عمه الحسين عليه السلام في ذلك اليوم سبعة عشر نفساً وأصابه ثمانية عشر جراحة فوقع فأخذه خاله أسماء بن خارجة فحمله إلى الكوفة وداواه حتى برأ وحمله إلى المدينة وكان معهم أيضاً زيد وعمر وولدا الحسن السبط عليه السلام فجعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون . فقال علي بن الحسين عليه السلام : تنوحون وتبكون من أجلنا فمن ذا الذي قتلنا .

قال بشير بن خزيم الأسدي : ونظرت إلى زينب بنت علي يومئذٍ ولم أر خفرة والله أنطق منها كانها تفرَّع من لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس ثم قالت : الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار .

أما بعد .

يا أهل الكوفة ، ياأهل الختل والغدر أتبكون فلا

رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثاً تتخذون إيمانكم دخلاً بينكم ألا وهل فيكم إلا الصلف النطف والصدر الشنف وملق الإماء وغمز الأعداء أو كمرعى على دمنة أو كفضة على ملحودة ، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون . أتبكون وتنتحبون أي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبداً وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حيرتكم ومفزع نازلتكم ومنار حجتكم ومدرة سنتكم ألا ساء ما تزرون وبعداً لكم وسحقاً . فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة وبؤتم بغضب من الله وضربت عليكم الذلة والمسكنة ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم وأي كريمة له أبرزتم وأي دم له سفكتم وأي حرمة له انتهكتم لقد جئتم بها صلعاءعنقاء سوداء فقماء (وفي بعضها) خرقاء شوهاء كطلاع الأرض أو كملىء السماء أفعجبتم إن مطرت السماء دماً ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون فلا يستخفنكم المهل فإنه لا يحفزه البدار ولا يخاف فوت الثأر وإن ربكم لبالمرصاد .

قال الراوي : فوالله لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارى

يبكـون وقد وضعـوا أيديهم في أفـواههم ، ورأيت شيخـاً واقفـاً إلى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته وهـو يقـول : بـأبي أنتم وأمي كهـولكم خيـر الكهـول وشبـابكم خيـر الشباب ونسائكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يخـزى ولا يبزى .

وروى زيـد بن مـوسى قـال : حـدثـني أبـي عن جدي عليه السلام قال : خطبت فاطمة الصغرى بعد أن وردت من كـربلاء فقـالت الحمد لله عـدد الرمـل والحصا وزنـة العـرش إلى الثرى، أحمـده وأؤمن به وأتـوكل عليـه وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شـريـك لـه وأن محمـداً عبـده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وإن أولاده ذبحـوا بشط الفرات بغيـر ذحل ولا ترات اللهم إني أعوذ بك أن أفتري عليك بالكذب أو أن أقـول عليك خـلاف ما أنـزلت عليه من أخـذ العهـود لوصيه علي بن أبي طـالب عليه السلام المسلوب حقه المقتـول من غير ذنب كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت الله فيه معشر مسلمـة بألسنتهم تعسـاً لرؤوسهم مـا دفعت عنه ضيماً في حياته ولا عند مماته حتى قبضتـه إليك محمـود النقيبة طيب العريكـة معروف المنـاقب مشهور المـذاهب لم تـأخذه فيـك اللهم لومـة لائم ولا عذل عـاذل هـديتـه اللهم لـلإسلام صغيـراً وحمـدت منـاقبـه كبيـراً ولم يـزل

ناصحاً لك ولرسولك صلى الله عليه وآله وسلم حتى قبضته إليك زاهداً في الدنيا غير حريص عليها راغباً في الآخرة مجاهداً لك في سبيلك رضيته فاخترته فهديته إلى صراط مستقيم .

أما بعد :

يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، فإنا أهل بيت ، إبتلانا الله بكم وإبتلاكم بنا فجعل بلائنا حسناً وجعل علمه عندنا وفهمه لدينا فنحن عيبة علمه ووعاء فهمه وحكمته وحجته على الأرض في بلاده لعباده أكرمنا الله بكرامته وفضلنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم على كثير ممن خلق تفضيلاً بيناً فكذبتمونا وكفرتمونا ورأيتم قتالنا حلالاً وأموالنا نهباً كأننا أولاد ترك وكابل كما قتلتم جدنا بالأمس وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت لحقد متقدم قرت لذلك عيونكم وفرحت قلوبكم على افتراء الله ومكراً مكرتم والله خير الماكرين فلا تدعونكم أنفسكم إلى الجذل بما أصبتم من دمائنا ونالت أيديكم من أموالنا فإن ما أصابنا من المصائب الجليلة والرزايا العظيمة في كتاب من قبل أن نبرئها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور ، تباً لكم فانتظروا اللعنة والعذاب ، فكأن قد حل بكم وتواترت من السماء نقمات فيسحتكم

بعـــذاب ويـذيق بعضكم بـــأس بعض ، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونـا ألا لعنة الله على الظالمين ويلكم أتدرون أيـة يد طـاعنتنا منكم وأيـة نفس نزعت إلى قتالنا أم بأية رجل مشيتم إلينـا تبغون محـاربتنا والله قست قلوبكم وغلظت أكبـادكم وطبع على أفئـدتكم وختم على سمعكم وبصركم وسول لكم الشيـطان وأملى لكم وجعل على بصركم غشاوة فأنتم لا تهتـدون فتباً لكم يـا أهـل الكـوفـة ، أي تـراث لـرسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلكم وذحول له لديكم بما غدرتم بأخيـه علي بن أبي طالب ، جدي وببنيه وعترته الطيبين الأخيار فافتخر بـذلك مفتخـر فقال :

نـحن قـتلنـا عـليـاً وبنـي علي بسيـوف هـنـديـة ورمـاح

وسبينـا نسـائـهم سبى تـرك ونـطحـنـاهـم فـأي نـطاح

بفيك أيها القائل الكثكث والأثلب إفتخرت بقتل قوم زكـاهم الله وطهرهم الله وأذهب عنهم الـرجس ، فاكـظم وأقـع كما أقعى أبـوك قائمـا لكـل امـرىء مـا كسب ومـا قدمت يداه أحسدتمونا ـ ويلكم ـ على ما فضلنا الله .

فمـاذنبنا إن جـاش دهراً بحـورنا وبحرك ساج ما يوارى الدعامصا

ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور .

قـال : فارتفعت الأصـوات بالبكـاء والنحيب وقـالـوا حسبـك يـا إبنـة الـطيبين فقـد أحـرقت قلوبنـا وأنضجت نحورنا وأضرمت أجوافنا فسكتت .

قـال : وخطبت أم كلثـوم بنت علي عليه السلام في ذلـك اليوم من وراء كلتها رافعـة صوتهـا بالبكـاء ، فقالت : يـا أهـل الكوفـة سوأة لكم ما لكم خـذلتم حسيناً وقتلتمـوه وأنتهبتم أمـواله وورثتمـوه وسبيتم نسائـه ونكبتمـوه ، فتبـاً لكم وسحقـاً ، ويلكم أتـدرون أي دواه دهتكم وأي وزر على ظهـوركم حملتم وأي دماء سفكتمـوها وأي كـريمـة أصبتموها وأي صبيـة سلبتموهـا وأي أموال إنتهبتمـوها . قتلتم خير رجالات بعـد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونُزعت الـرحمة من قلوبكم ألا إن حـزب الله هم الفائـزون وحـزب الشيـطان هم الخاسرون ، ثم قالت :

قتلتم أخي صبراً فويـل لامكم	ستجـزون نـاراً حـرهـا يتـوقـد
سفكتم دمـاء حرم الله سفكهـا	وحـرمهـا القـرآن ثم محمـد
ألا فـابشـروا بـالنـار إنكم غـداً	لفي سقـر حقـاً يقينـاً تخـلدوا
وإني لأبكي في حياتي على أخي	على خيـر من بعـد النبي سيـولـد
بـدمـع غـزيـز مستهـل مكفكف	على الخدمني دائما ليس يجمـد

قـال الراوي : فضـج الناس بـالبكاء والـنـوح ونشـر النسـاء شعورهن ووضعن التـراب على رؤوسهن وخمشن

وجوههن وضربن خدودهن ودعون بالويل والثبور وبكى الرجال ونتفوا لحاهم فلم ير باكية وباك أكثر من ذلك اليوم .

ثم إن زين العابدين عليه السلام أومأ إلى الناس أن اسكتوا فسكتوا ، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم صلى عليه ثم قال أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي أنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام أنا ابن من إنتهكت حرمته وسلبت نعمته وإنتهب ماله وسبى عياله ، أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا ترات أنا ابن من قتل صبراً ، وكفى بذلك فخراً ، أيها الناس فأُنشدكم الله هل تعلمون إنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوءة لرأيكم بأية عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول لكم قتلتم عترتي وإنتهكتم حرمتي فلستم من أُمتي .

قال الراوي فإرتفعت الأصوات من كل ناحية ويقول بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون فقال عليه السلام رحم الله إمرءاً قبل نصيحتي وحفظ وصيتي في الله وفي رسوله وأهل بيته فإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أُسوة حسنة فقالوا : بأجمعهم نحن كلنا يا ابن رسول الله سامعون

مطيعون حافظون لذمامك زاهدين فيك وراغبين عنك فمرنا بأمرك يرحمك الله فإنا حرب لحربك وسلم لسلمك لنأخذن يزيد لعنه الله ونبرأ ممن ظلمك فقال عليه السلام هيهات هيهات أيها الغدرة المكرة حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم أتريدون أن تأتوا إلي كما آتيتم آبائي من قبل كلا ورب الراقصات فإن الجرح لما يندمل قتل أبي صلوات الله عليه بالأمس وأهل بيته معه ولم ينسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وثكل أبي وبني أبي ووجده بين لهاتى ومرارته بين حناجري وحلقي وغصصه تجري في فراش صدري ومسئلتي أن تكونوا لا لنا ولا علينا ثم قال :

لا غرو إن قتل الحسين فشيخه	قد كان خيراً من حسين وأكرم
فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي	أُصيب حسين كان ذلك أعظم
قتيل بشط النهر روحي فدائه	جزاء الذي أرداه نار جهنم

ثم قال رضينا منكم رأساً برأس فلا يوم لنا ولا يوم علينا .

قال الراوي : ثم إن ابن زياد جلس في القصر للناس وأذن إذناً عاماً وجيء برأس الحسين عليه السلام فوضع بين يديه وأدخل نساء الحسين عليه السلام وصبيانه إليه فجلست زينب بنت علي عليه السلام متنكرة فسأل عنها فقيل زينب بنت علي عليه السلام فأقبل إليها فقال الحمد

لله الذي فضحكم وأكذب أُحدوثتكم، فقالت : إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا ، فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك ، فقالت : ما رأيت إلا جميلاً ، هؤلاء قوم كتب عليهم القتال فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فانظر لمن يكون الفلج يومئذٍ هبلتك أُمك يا بن مرجانة .

فقال الراوي : فغضب ابن زياد وكأنه هم بها ، فقال له عمرو بن حريث إنها إمرأة والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها ، فقال لها ابن زياد : لقد شفى الله قلبي من طاغيتك الحسين والعصاة المردة من أهل بيتك ، فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي وقطعت فرعي وإجتثثت أصلي فإن كان هذا شفاك فقد إشتفيت ، فقال ابن زياد : هذه سجاعة ولعمري لقد كان أبوك شاعراً وسجاعاً ، فقالت : يا بن زياد ما للمرأة والسجاعة .

ثم التفت ابن زياد إلى علي بن الحسين عليهما السلام ، فقال من هذا ؟ فقيل : علي بن الحسين ، فقال : أليس قد قتل الله علي بن الحسين عليه السلام فقال علي عليه السلام : قد كان لي أخ يقال له علي بن الحسين قتله الناس فقال بل الله قتله . فقال علي عليه السلام الله يتوفى الأنفس حين موتها

والتي لم تمت في منامها ، فقال ابن زياد : ألك جرأة على جوابي إذهبوا به فإضربوا عنقه فسمعت به عمته زينب فقالت : يابن زياد إنك لم تبق منا أحداً فإن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه ، فقال علي عليه السلام لعمته أُسكتي يا عمة حتى أُكلمه ثم أقبل ، فقال : أبالقتل تهددني يا ابن زياد أما علمت أنَّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة .

ثم أمر ابن زياد بعلي بن الحسين عليه السلام وأهله فحملوا إلى دار جنب المسجد الأعظم ، فقالت زينب بنت علي عليه السلام لا تدخلن عربية إلا ام ولد أو مملوكة فإنهن سبين كما سبينا ثم أمر ابن زياد برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة ويحق لي أن أتمثل هنا بأبيات لبعض ذوي العقول يرثى بها قتيلاً من آل الرسول :

رأس ابن بنت محمد ووصيه	للناظرين على قناة يرفع
والمسلمون بمنظر وبمسمع	لا منكر منهم ولا متفجع
كحلت بمنظرك العيون عماية	وأصم رزئك كل أُذن تسمع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى	وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
ما روضة إلا تمنت إنها	لك حفرة ولخط قبرك مضجع

قال الراوي : ثم إن ابن زياد صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال في بعض كلامه : الحمد لله الذي أظهر

الحق وأهله ونصر أمير المؤمنين وأشياعه وقتل الكذاب بن الكذاب فما زاد على الكلام شيئاً حتى قام إليه عبد الله بن عفيف الأزدي وكان من خيار الشيعة وزهادها وكانت عينه اليسرى ذهبت في يوم الجمل والأُخرى في يوم صفين وكان يلازم المسجد الأعظم يصلي فيه إلى الليل ، فقال : يا ابن زياد إن الكذاب ابن الكذاب أنت وأبوك ومن إستعملك وأبوه يا عدو الله أتقتلون أبناء النبيين وتتكلمون بهذا الكلام على منابر المؤمنين !

قال الراوي : فغضب ابن زياد وقال من هذا المتكلم فقال أنا المتكلم يا عدو الله أتقتل الذرية الطاهرة التي قد أذهب الله عنها الرجس وتزعم إنك على دين الإسلام واغوثاه أين أولاد المهاجرين والأنصار لينتقمون من طاغيتك اللعين بن اللعين على لسان رسول رب العالمين .

قال الراوي : فازداد غضب ابن زياد حتى إنتفخت أوداجه وقال : عليَّ به فتبادرت إليه الجلاوزة من كل ناحية ليأخذوه فقامت الأشراف من الأزد من بني عمه فخلصوه من أيدي الجلاوزة وأخرجوه من باب المسجد وإنطلقوا به إلى منزله ، فقال ابن زياد : إذهبوا إلى هذا

الأعمى أعمى الأزد أعمى الله قلبه كما أعمى عينه فاتوني به ، قال فانطلقوا إليه فلما بلغ ذلك الأزد إجتمعوا واجتمعت معهم قبائل اليمن ليمنعوا صاحبهم ، قال : بلغ ذلك ابن زياد فجمع قبائل مضر وضمهم إلى محمد بن الأشعث وأمرهم بقتال القوم .

قال الراوي : فاقتتلوا قتالا شديداً حتى قتل بينهم جماعة من العرب ، قال ووصل أصحاب ابن زياد إلى دار عبد الله بن عفيف ، فكسروا الباب وإقتحموا عليه فصاحت إبنته أتاك القوم من حيث تحذر ، فقال : لا عليك ناولني سيفي ، قال : فناوله إياه فجعل يذب عن نفسه ويقول :

أنا إبن ذي الفضل عفيف الطاهر عفيف شيخي وابن أُم عامر
كم دارع من جمعكم وحاسر وبطل جدلته مغاور

قال وجعلت إبنته تقول يا أبت ليتني كنت رجلاً أخاصم بين يديك اليوم هؤلاء الفجرة قاتلي العترة البررة قال وجعل القوم يدورون عليه من كل جهة وهو يذب عن نفسه فلم يقدر عليه أحد وكلما جاءه من جهة قالت يا أبت جاؤك من جهة كذا حتى تكاثروا عليه وأحاطوا به فقالت بنته واذلاه يحاط بأبي وليس له ناصر يستعين به فجعل يدير سيفه ويقول :

أُقسم لـو يفسـح لي عن بصــري   ضـاق عليك مـوردي ومصدري

قـال الراوي : فمـا زالـوا بـه حتى أخـذوه ثم حمـل فـأُدخـل على ابن زيـاد فلمـا رآه قـال الحمـد الله الـذي أخـزاك فقال لـه عبد الله بن عفيف : يـا عدو الله وبمـاذا أخزاني الله !

والله لــو فــرج لي عن بـصــري   ضـاق عليك مـوردي ومصدري

فقال ابن زياد : يـا عدو الله مـا تقول في عثمـان بن عفان ، فقال يا عبد بني عـلاج يا ابن مـرجانـة وشتمه مـا أنت وعثمان بن عفان أساء أم أحسن وأصلح أم أفسد والله تبارك وتعالى ولي خلقه يقضي بينهم وبين عثمان بـالعدل والحق ولكن سلني عن أبيـك وعنك وعن يـزيـد وأبيـه ، فقـال ابن زيـاد : لا سئلتـك عن شيء أو تـذوق المـوت غصـة بعد غصّـة ، فقال عبـد الله بن عفيف : الحمد لله رب العالمين أما إني قـد كنت أسئل الله ربي أن يـرزقني الشهادة من قبل أن تلدك أُمك وسألت الله أن يجعل ذلك على يـدي ألعن خلقـه وأبغضهم إليـه فلمـا كف بصـري يئست عن الشهـادة والآن فالحمـد لله الذي رزقنيهـا بعـد اليأس منها وعرفني الإجابة منه في قديم دعائي ، فقال يا ابن زيـاد : إضـربـوا عنقـه فَضُـرِبَتْ عنقـه وصلب فـي السبخة .

قال الراوي : وكتب عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته وكتب أيضاً إلى عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك أما عمرو فحيث وصله الخبر صعد على المنبر وخطب الناس وأعلمهم ذلك فعظمت واعية بني هاشم وأقاموا سنن المصائب والمآتم وكانت زينب بنت عقيل بن أبي طالب عليه السلام تندب الحسين عليه السلام وتقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأُمم

بعترتي وبأهل بيتي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ماكان هذا جزائي اذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

فلما جاء الليل سمع أهل المدينة هاتفاً ينادي :

أيها القاتلون جهلاً حسيناً ... إبشروا بالعذاب والتنكيل

كل أهل السماء يدعو عليكم ... من نبي ومالك وقبيل

قد لعنتم على لسان ابن داود ... وموسى صاحب الإنجيل

وأما يزيد بن معاوية فإنه لما وصله كتاب عبيد الله بن زياد ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قُتل معه وعمل أثقاله ونسائه وعياله فاستدعى ابن زياد بمحفر بن ثعلبة العائذي فسلم إليه الرؤوس والأسرى والنساء فصار بهم محفر إلى

الشام ، كما يسار بسبايا الكفار يتصفح وجوههن أهل الأقطار .

فروى ابن لهيعة وغيره حديثا أخذنا منه موضع الحاجة قال : كنت أطوف بالبيت فإذا برجل يقول اللهم أغفر لي وما أراك فاعلاً ، فقلت له : يا عبد الله إتق الله ولا تقل مثل ذلك فإن ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق الأشجار فاستغفرت الله غفرها لك فإنه غفور رحيم قال : فقال لي : تعالى حتى أُخبرك بقصتي فأتيته فقال : إعلم إنا كنا خمسين نفراً ممن سار مع رأس الحسين عليه السلام إلى الشام فكنا إذا أمسينا وضعنا الرأس في تابوت وشربنا الخمر حول التابوت فشرب أصحابي ليلة حتى سكروا ولم أشرب معهم فلما جن الليل سمعت رعداً ورأيت برقاً فإذا أبواب السماء قد فتحت ونزل آدم عليه السلام ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ونبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومعهم جبرائيل وخلق من الملائكة فدنا جبرائيل من التابوت وأخرج الرأس وضمه إلى نفسه وقبله ثم كذلك فعل الأنبياء كلهم وبكى النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأس الحسين عليه السلام وعزاه الأنبياء وقال له جبرائيل عليه السلام يا محمد إن الله تبارك وتعالى أمرني أن أُطيعك في أمتك فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض وجعلت عاليها سافلها كما

فعلت بقوم لوط ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا جبرائيل فإن لهم معي موقفاً بين يدي الله يوم القيامة ثم جاءت الملائكة نحونا ليقتلونا فقلت الأمان الأمان يا رسول الله فقال إذهب فلا غفر الله لك .

ورأيت في تذييل محمد بن النجار شيخ المحدثين ببغداد في ترجمة علي بن نصر الشبوكي بإسناده زيادة في هذا الحديث ما هذا لفظه قال لما قتل الحسين بن علي وحملوا برأسه جلسوا يشربون ويجيء بعضهم بعضاً بالرأس فخرجت يد وكتبت بقلم الحديد على الحائط .

أترجو أُمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

قال فلما سمعوا بذلك تركوا الرأس وهزموا

دخول
الرؤوس والنساء إلى الشام

قال الراوي : وسار القوم برأس الحسين ونسائه والأسرى من رجاله فلما قربوا من دمشق دنت أُم كلثوم من شمر وكان من جملتهم فقالت له : لي إليك حاجة ، فقال : ما حاجتك قالت : إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظارة وتقدم إليهم أن يُخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحونا عنها فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ونحن في هذه الحال فأمر في جواب سؤالها أن يجعل

الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل بغياً منه وكفراً وسلك بهم بين النظارة على تلك الصفة حتى أتى بهم باب دمشق فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبى .

فروي : أن بعض فضلاء التابعين لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه فلما وجدوه بعد إذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك فقال ألا ترون ما نزل بنا وأنشأ يقول :

جاؤا برأسك يا بن بنت محمد ... متـرملاً بـدمائـه تـرميلا
وكأنما بك يا بن بنت محمد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا
قتلوك عطشانا ولم يترقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا
ويكبرون بأن قتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

قال الراوي : وجاء شيخ ودنا من نساء الحسين عليه السلام وعياله وهم في ذلك الموضع فقال الحمد لله الذي قتلكم وأهلككم وأراح البلاد عن رجالكم ، وأمكن أمير المؤمنين منكم فقال له علي بن الحسين عليه السلام يا شيخ هل قرأت القرآن ؟ قال : نعم ، قال : فهل عرفت هذه الآية : ﴿**لاأسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى**﴾ . قال الشيخ : نعم قد قرأت ذلك فقال علي عليه السلام له فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت في

بني إسرائيل﴿وآت ذا القربى حقه﴾ فقال الشيخ قد قرأت ، فقال علي بن الحسين فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت هذه الآية : ﴿**واعملوا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى**﴾ . قال : نعم ، فقال له علي عليه السلام : فنحن القربى يا شيخ فهل قرأت هذه الآية :﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ . قال الشيخ : قد قرأت ذلك ، فقال علي عليه السلام : فنحن أهل البيت الذي خصصنا الله بآية الطهارة يا شيخ .

قال الراوي : فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلم به وقال : بالله إنكم هم ، فقال علي بن الحسين عليهما السلام تالله إنا لنحن هم من غير شك وحق جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبكى الشيخ ورمى عمامته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إنا نبرأ إليك من عدو آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من جن وإنس ، ثم قال هل لي توبة ، فقال له : نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا ، فقال : أنا تائب فبلغ يزيد بن معاوية حديث الشيخ فأمر به فقتل .

قال الراوي : ثم أُدخل ثقل الحسين عليه السلام ونسائه ومن تخلف من أهل بيته على يزيد بن معاوية(لع) وهم مقرنون في الحبال ، فلما وقفوا بين يديه وهم على تلك

الحال قال علي بن الحسين عليه السلام أُنشدك الله يا يزيد ما ظنك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو رآنا على هذه الصفة فأمر يزيد بالحبال فقطعت .

ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلا ينظرن إليه فرآه علي بن الحسين عليهما السلام فلم يأكل بعد ذلك أبداً وأما زينب فإنها لما رأته أهوت إلى جيبها فشقته ثم نادت بصوت حزين يفزع القلوب ياحسيناه يا حبيب رسول الله يا ابن مكة ومنى يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ياابن بنت المصطفى .

قال الراوي فأبكت والله كل من كان في المجلس ويزيد عليه لعائن الله ساكت .

ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد لعنه الله تندب على الحسين عليه السلام وتنادي يا حبيباه يا سيّد أهل بيتاه يا ابن محمد يا ربيع الأرامل واليتامى يا قتيل أولاد الأدعياء ، قال الراوي : فأبكت كل من سمعها .

ثم دعا يزيد عليه اللعنة بقضيب خيزران فجعل ينكت به ثنايا الحسين فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال : ويحك يا يزيد أتنكت بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام

ابن فاطمة عليها السلام أشهد لقد رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليه السلام ويقول أنتما سيدا شباب أهل الجنة فقتل الله قاتلكما ولعنه وأعد له جهنم وسائت مصيرا قال الراوي : فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأُخرج سحباً ، قال وجعل يزيد يتمثل بأبيات ابن الزبعرى :

ليت أشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً　　ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قد قتلنا القرم من ساداتهم　　وعدلناه ببدر فاعتدل

لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خندف إن لم أنتقم　　من بني أحمد ما كان فعل

قال الراوي : فقامت زينب بنت على بن أبي طالب عليها السلام فقالت الحمد لله رب العالمين وصلى الله على رسوله وآله أجمعين ، صدق الله سبحانه كذلك يقول ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤن أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نساق كما تساق الأسراء إن بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة وإن ذلك لعظم خطرك عنده فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان مسروراً حين رأيت الدنيا لك مستوثقة والأُمور متسقة وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت

قول الله تعالىٰ ﴿**ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين**﴾ أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك وسوقك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هتكت ستورهن وأُبديت وجوههن تحدوا بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههن القريب والبعيد والدني والشريف ليس معهن من رجالهن ولي ولا من حماتهن حمي وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأذكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء وكيف ويستبطأ في بغضاء أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنان والاحن والأضغان ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم .

لاهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحياً على ثنايا أبي عبد الله عليه السلام سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة وإستأصلت الشأفة باراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونجوم الأرض من آل عبد المطلب وتهتف بأشياخك ، زعمت إنك تناديهم فلتردن وشيكاً موردهم ولتودن إنك شللت وبكمت ولم تكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت اللهم خذ لنا بحقنا وانتقم ممن ظلمنا وأحلل

غضبك بمن سفك دمائنا وقتل حماتنا فوالله ما فريت إلا جلدك ولا حززت إلا لحمك ولتردن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بما تحملت من سفك ذريته وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته وحيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم ويأخذ بحقهم . **﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾** . وحسبك بالله حاكماً وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم خصيماً وبجبرائيل ظهيراً وسيعلم من سول لك ومكنك من رقاب المسلمين بئس للظالمين بدلاً وأيكم شر مكاناً وأضعف جنداً ولئن جرت علي الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرك وأستعظم تقريعك وأستكثر توبيخك لكن العيون عبرى والصدور حرى ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أُمهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدنا وشيكاً مغرماً حين لا تجد إلا ما قدمت يداك وما ربك بظلام للعبيد ، فإلى الله المشتكى وعليه المعول فكد كيدك وأسع سعيك وناصب جهدك فوالله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي ألا لعنة الله على الظالمين فالحمد

لله رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسعادة والمغفرة ولآخرنا بالشهادة والرحمة ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل .

فقال يزيد لعنه الله :

يا صيحة تحمد من صوائح　　　ما أهون الموت على النوائح

قال الراوي : ثم إستشار أهل الشام فيما يصنع بهم ، فقالوا لا تتخذن من كلب سوء جرواً ، فقال النعمان بن بشير : أُنظر ما كان الرسول يصنع بها فاصنعه بهم .

فنظر رجل من أهل الشام إلى فاطمة بنت الحسين عليه‌السلام فقال : يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية ، فقالت فاطمة لعمتها : يا عمتاه أوتمت وأُستخدم ! فقالت زينب : لا ولا كرامة لهذا الفاسق ، فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ فقال يزيد : هذه فاطمة بنت الحسين عليه‌السلام وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب فقال الشامي : الحسين بن فاطمة عليها‌السلام وعلي بن أبي طالب عليه‌السلام ! قال : نعم ، فقال الشامي : لعنك الله يا يزيد أتقتل عترة نبيك وتسبي ذريته والله ما توهمت إلا

أنهم سبى الروم ! فقال يـزيد : والله لألحقنـك بهم ، ثم أمـر بـه فضـربت عنقـه .

قال الراوي : ودعا يزيـد بالخطـيب وأمره أن يصعـد المنبر فيذم الحسين وأباه عليهما السلام فصعد وبالغ في ذم أميـر المؤمنين والحسين الشهيد عليهما السلام والمدح لمعـاوية ويـزيد عليهما لعائن الله فصـاح بـه علي بن الحسين عليه السلام ويلك أيهـا الخطيب إشتـريت مرضـاة المخلوق بسخط الخـالق فتبؤ مقعدك من النار ولقد أحسن ابن سنان الخفـاجي في وصف أمير المؤمنين عليه السلام يقول :

أعلى المنـابـر تعلنـون بسبـه   وبسيفـه نصبت لكم أعـوادهـا

قـال الـراوي : ووعـد يـزيـد (لـع) عـلي بـن الحسين عليه السلام في ذلك اليوم إنه يقضي له ثلاث حاجات ثم أمـر بهم إلى منزل لا يكنهم من حر ولا برد فأقامـوا به حتى تقشـرت وجـوههم وكـانـوا مـدة إقـامتهم في البلد المشار إليه ينوحون على الحسين عليه السلام .

قـالت سكينة فلمـا كان في اليـوم الرابـع من مقامنـا رأيت في المنام رؤيا ذكـرت منامـاً طويـلاً في آخره رأيت إمرأة راكبة في هودج ويدها موضوعة على رأسهـا فسألت عنهـا فقيل لي فـاطمة بنت محمـد صلى الله عليه وآله وسلم أم أبيـك فقلت والله لأنـطلقن إليها ولأخبرنها مـا صُنع بنـا فسعيت مبادرة

نحوها حتى لحقت بها فوقفت بين يديها أبكي وأقول يا أُماه جحدوا والله حقنا يا أُماه بددوا والله شملنا يا أُماه إستباحوا والله حريمنا يا أُماه قتلوا والله الحسين عليه السلام أبانا ، فقالت لي : كفى صوتك يا سكينة فقد قطعت نياط قلبي هذا قميص أبيك الحسين عليه السلام لا يفارقني حتى ألقى الله به .

وروى ابن لهيعة : عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن قال : لقيني رأس الجالوت فقال والله بيني وبين داود لسبعين أباً وإن اليهود تلقاني فتعظمني وأنتم ليس بين ابن نبيكم وبينه إلا أب واحد قتلتم ولده !

وروي عن زين العابدين عليه السلام قال : لما أُتي برأس الحسين عليه السلام إلى يزيد كان يتخذ مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرف عليه فحضر ذات يوم في مجلسه رسول ملك الروم وكان من أشراف الروم وعظمائهم ، فقال يا ملك العرب هذا رأس من ؟ فقال له يزيد : مالك ولهذا الرأس ؟ فقال إني إذا رجعت إلى ملكنا يسألني عن كل شيء رأيته فأحببت أن أُخبره بقصة هذا الرأس وصاحبه حتى يشاركك في الفرح والسرور ، فقال يزيد : عليه اللعنة هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال الرومي : ومن أُمه ؟

فقال : فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال النصراني أُفٍّ لك ولدينك لي دين أحسن من دينكم إن أبي من حوافد داود عليه السلام وبيني وبينه آباء كثيرة والنصارى يعظموني ويأخذون من تراب قدمي تبركاً بأني من حوافد داود عليه السلام وأنتم تقتلون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بينه وبين نبيكم إلا أُم واحدة فأي دين دينكم !

ثم قال ليزيد : هل سمعت حديث كنيسة الحافر ؟ فقال له : قل حتى أسمع ،فقال : بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ليس فيها عمران إلا بلدة واحدة في وسط الماء طوله ثمانون فرسخاً في ثمانين فرسخاً ، ما على وجه الأرض بلدة منها ومنها يحمل الكافور والياقوت أشجارهم العود والعنبر وهي في أيدي النصارى لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم وفي تلك البلدة كنائس كثيرة أعظمها كنيسة الحافر في محرابها حقة ذهب معلقة فيها حافر يقولون إن هذا حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام وقد زينوا حول الحقة بالديباج يقصدها في كل عام عالم من النصارى ويطوفون حولها ويقبلونها ويرفعون حوائجهم إلى الله تعالى عندها هذا شأنهم ورأيهم بحافر حمار يزعمون إنه حافر حمار كان يركبه عيسى عليه السلام نبيهم وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم فلا بارك

الله تعالى فيكم ولا في دينكم ، فقال يزيد : (لـع) أُقتلوا هـذا النصـراني لئـلا يفضحني في بـلاده ، فلمـا أحس النصراني بذلك قال له : أتريد أن تقتلني ؟ قال : نعم . قال : إعلم إني رأيت البارحـة نبيكم في المنام يقـول لي يـا نصـراني أنت من أهـل الجنـة فتعجبت من كـلامـه ! وأشهـد أن لا إله إلا الله وأن محمـداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ووثب إلى رأس الحسين عليه السلام فضمـه إلى صـدره وجعـل يقبله ويبكي حتى قتل .

قـال وخـرج زين العـابـدين عليه السلام يـومـا يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهـال بن عمرو فقـال له : كيف أمسيت يا ابن رسول الله ؟ قال أمسينا كمثل بني إسرائيـل في آل فـرعون يـذبحون أبنـائهم ويستحيون نسـائهـم ، يا منهـال أمست العـرب تفتخـر على العجم بـأن محمـداً عـربي ، وأمست قريش تفتخـر على سـائـر العـرب بـأن محمـداً منها وأمسينـا معشر أهـل بيتـه ونحن مغصـوبـون مقتولون مشردون ، فإنـا لله وإنا إليـه راجعون ممـا أمسينا فيه ، يا منهال ولله در مهيار حيث قال :

يعـظمـون لـه أعـواد منبـره ... وتحت أرجلهم أولاده وضعـوا

بـأي حكم بـنـوه يتبعـونـكم ... وفخـركم إنكم صحب لـه تبـع

ودعـا يـزيـد عليـه لعـائن الله يـومـاً بعـلي بن

الحسين عليه السلام وعمرو بن الحسين عليه السلام وكان عمرو صغيراً يقال إن عمره إحدى عشرة سنة ، فقال له : أتصارع هذا يعني إبنه خالداً؟ فقال له عمرو: لا ولكن اعطني سكيناً واعطه سكيناً ثم أُقاتله، فقال يزيد (لع) :

شنشة أعرفها من أخزم　　　هل تلد الحية إلا الحية

وقال لعلي بن الحسين عليه السلام : أذكر ما جائك الثلاث اللاتي وعدتك بقضائهن فقال له :

الأُولى : أن تريني وجه سيدي ومولاي وأبي الحسين عليه السلام فأتزود منه .

والثانية : أن ترد علينا ما أُخذ منا .

والثالثة : إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النسوة من يردهن إلى حرم جدهن صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال له يزيد : أما وجه أبيك فلا تراه أبداً وأما قتلك فقد عفوت عنك وأما النساء فما يردهن غيرك إلى المدينة وأما ما أُخذ منكم فأنا أُعوضكم عنه أضعاف قيمته فقال : أما مالك فما نريده فهو موفر عليك وإنما طلبت ما أُخذ منا لأن فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومقنعتها وقلادتها وقميصها فأمر برد ذلك ، وزاد فيه من عنده مائتي دينار فأخذها زين العابدين عليه السلام وفرقها في الفقراء ثم أمر برد

الأسـارى وسبـايـا الحسين عليه السلام إلى أوطـانهن بمـدينـة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

فـأمـا رأس الحسين عليه السلام فـروى إنـه أُعيـد فـدفن بكربلاء مع جسده الشريف عليه السلام وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه ، ورويت آثار كثيـرة مختلفة غيـر ما ذكرناه تركنا وضعها كيلا ينفسخ ما شرطناه من اختصار الكتاب .

قال الراوي : لمـا رجع نسـاء الحسين عليه السلام وعيالـه من الشام وبلغوا العـراق قالـوا للدليل مـر بنا على طـريق كربلاء فوصلوا إلى موضع المصرع فوجدوا جابر بن عبـد الله الأنصاري (ره) وجمـاعة من بني هاشم ورجالاً من آل رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم قـد وردوا لـزيـارة قبـر الحسين عليه السلام فوافوا وقت واحد وتلاقوا بالبكـاء والحزن واللطم وأقـاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع إليهم نسـاء ذلك السـواد فأقاموا على ذلك أياماً فـروي عن أبي حباب الكلبي قـال حـدثنا الجصـاصون قـالوا : كنـا نخرج إلى الجبـانـة في الليل عند مقتل الحسين عليه السلام فنسمع الجن ينوحون عليه فيقولون :

مسـح الـرسـول جبـينـه فـلـه بـريـق فـي الـخـدود
أبـواه مـن أعـلى قـريش وجـده خـيـر الـجـدود

قال الراوي : ثم إنفصلوا من كربلاء طالبين المدينة ، قال بشير بن جذلم : فلما قربنا منها أنزل علي بن الحسين عليه السلام فحط رحله وضرب فسطاطه وأنزل نسائه وقال : يا بشر رحم الله أباك لقد كان شاعراً فها تقدر على شيء منه فقال بلى يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إني شاعر فقال عليه السلام أُدخل المدينة وانع أبا عبد الله عليه السلام قال بشير فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة فلما بلغت مسجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفعت صوتي بالبكاء وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها ... قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرج ... والرأس منه على القناة يدار

قال ثم قلت هذا علي بن الحسين عليهما السلام مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم وأنا رسوله إليكم أعرفكم مكانه ، قال : فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن مكشوفة شعورهن مخمشة وجوههن ضاربات خدودهن يدعون بالويل والثبور فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم ولا يوماً أمر على المسلمين منه وسمعت جارية تنوح على الحسين عليه السلام فتقول :

نعى سيدي ناع نعاه فأوجعا ... وأمرضنى ناع نعاه فأفجعا

فعيني جودا بالدموع وأسكبا وجودا بدمع بعد دمعكما معا
على من دهى عرش الجليل فزعزعا فأصبح هذا المجد والدين أجدعا
علي إبن نبي الله وإبن وصيه وإن كان عنا شاحط الدار اشعا

ثم قالت أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله عليه السلام وخدشت منا قروحاً لما تندمل فمن أنت رحمك الله فقلت : أنا بشير بن جذلم وجهني مولاي علي بن الحسين عليه السلام وهو نازل في موضع كذا وكذا مع عيال أبي عبد الله الحسين عليه السلام ونسائه قال فتركوني مكاني وبادروني فضربت فرسي حتى رجعت إليهم فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع فنزلت عن فرسي وتخطيت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين عليه السلام داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك عن العبرة وارتفعت أصوات الناس بالبكاء وحنين النسوان والجواري والناس يعزونه من كل ناحية فضجت تلك البقعة ضجة شديدة .

فأومأ بيده أن سكتوا فسكنت فورتهم فقال : الحمد لله رب العالمين مالك يوم الدين باريء الخلائق أجمعين الذي بعد فارتفع في السمٰوات العلى وقرب فشهد النجوىٰ نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور وألم الفجائع

ومضاضة اللواذع وجليل الرزء وعـظيم المصائب الفـاطعة الكـاظة الفـادحة الجـائحة أيهـا القوم إن الله ولـه الحمد إبتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمـة قتل أبـو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته وسبى نسائه وصبيته وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان وهذه الرزية التي لا مثلهـا رزية ، أيهـا الناس فـأي رجالات منكم يسـرون بعـد قتله أم أي فؤاد لا يحـزن من أجله ، أم أيـة عين منكم تحبس دمعهـا وتضن عن أنهما لها فلقد بكت السبـع الشداد لقتله وبكت البحار بأمواجها والسموات بأركانها ، والأرض بـأرجائهـا والأشجار بـأغصانهـا والحيتان ولجـج البحار والملائكة المقربون وأهل السموات أجمعون . يـا أيهـا الناس أي قلب لا ينصـدع لقتله أم أي فؤاد لا يحن إليـه أم أي سمـع لا يسمـع هـذه الثلمـة التى ثلمت في الإسـلام ولا يصـم ، أيهـا النـاس أصبحنـا مـطرودين مشـردين مذودين وشـاسعين عن الأمصار كـأنا أولاد تـرك وكابل من غير جرم إجترمناه ولا مكـروه إرتكبناه ولا ثلمـة في الإسلام ثلمناهـا ما سمعنـا بهذا في آبائنـا الأولين إن هذا إلا إختلاق والله لو أن النبي تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على مـافعلوا بنا فـإنا لله وإنـا إليـه راجعـون من مصيبـة مـا أعـظمهـا وأوجعهـا وأفجعهـا وأكظهـا وأفظعهـا وأمرهـا وأفدحهـا ، فعنـد الله

نحتسب فيما أصابنا وأبلغ بنا فإنه عزيز ذو إنتقام .

قال الراوي : فقام صوحان بن صعصعة بن صوحان وكان زمناً فاعتذر إليه صلوات الله عليه بما عنده من زمانة رجليه فأجابه بقبول معذرته وحسن الظن فيه وشكر له وترحم على أبيه .

قال علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس جامع هذا الكتاب : ثم إنه عليه صلى الله وآله وسلم رحل إلى المدينة بأهله وعياله ونظر إلى منازل قومه ورجاله فوجد تلك المنازل تنوح بلسان أحوالها وتبوح باعلال الدموع وإرسالها لفقد حماتها وتندب عليهم ندب الثواكل وتسأل عنهم أهل المناهل وتهيج أحزانه على مصارع قتلاه وتنادي لأجلهم واثكلاه وتقول يا قوم أعذروني على النياحة والعويل وساعدوني على المصاب الجليل ، فإن القوم الذين أندب لفراقهم وأحن إلى كرم أخلاقهم كانوا سمار ليلي ونهاري وأنوار ظلمي وأسحاري وأطناب شرفي وإفتخاري وأسباب قوتي وإنتصاري والخلف من شموسي وأقماري ، كم ليلة شردوا باكرامهم وحشتي وشيدوا بأنعامهم حرمتي وأسمعوني مناجات أسحارهم وأمتعوني بإبداع أسرارهم وكم يوم عمرو أن نعى بمحافلهم وعطروا طبعي بضائلهم وأورقوا عودي بماء عهودهم

وأذهبوا نحوسي بماء سعودهم وكم غرسوا لي من المناقب وحرسوا محلي من النوائب وكم أصبحت بها أتشرف على المنازل والقصور وأميس في ثوب الجذل والسرور وكم أعاشوا في شعابي من أموات الدهور وكم إنتاشوا على أعتابي من رفات المحذور فأقصدني فيهم منهم الحمام وحسدني عليهم حكم الأيام فأصبحوا غرباء بين الأعداء وغرضاً لسهام الاعتداء وأصبحت المكارم تقطع بقطع أناملهم والمناقب تشكو لفقد شمائلهم والمحاسن تزول بزوال أعضائهم والأحكام تنوح لوحشة أرجائهم فيا لله من ورع أُريق دمه في تلك الحروب وكمال نكس علمه بتلك الخطوب ولئن عدمت مساعدة أهل العقول وخذلني عند المصائب جهل العقول فإن لي مسعداً من السنن الدارسة والأعلام الطامسة فإنها تندب كندبي وتجد مثل وجدي وكربي فلو سمعتم كيف ينوح عليهم لسان حال الصلوات ويحن إليهم إنسان الخلوات وتشتاقهم طوية المكارم وترتاح إليهم أندية الأكارم وتبكيهم محاريب المساجد وتناديهم مآريب الفوائد لشجاكم سماع تلك الواعية النازلة وعرفتم تقصيركم في هذه المصيبة الشاملة بل لو رأيتم وحدتي وانكساري وخلو مجالسي وآثاري لرأيتم ما يوجع قلب الصبور ويهيج أحزان الصدور لقد شمت بي من كان يحسدني من الديار

وظفرت بي أكف الأخطار فياشوقاه إلى منزل سكنوه ومنهل أقاموا عنده واستوطنوه ليتني كنت إنساناً أفديهم حز السيوف وأدفع عنهم حر الحتوف وأشفي غيظي من السنان وأرد عنهم سهام العدوان وهلا إذا فاتني شرف تلك المواساة الواجبة كنت محلاً لضم جسومهم الشاجة وأهلاً لحفظ شمائلهم من البلى ومصوناً من لوعة هذا الهجر والقلى ، فآه ثم آه لو كنت مخطاً لتلك الأجساد ومحطاً لنفوس أولائك الأجواد لبذلت في حفظها غاية المجهود ووفيت لها بقديم العهود وقضيت لها بعض الحقوق الأوائل ووقيتها من وقع الجنادل وخدمتها خدمة العبد المطيع وبذلت لها جهد المستطيع ، فرشت لتلك الخدود والأوصال فراش الإكرام والإجلال وكنت أبلغ منيتي من إعتناقها وأُنور ظلمتي بإشراقها فيا شوقاه إلى تلك الأماني ويا قلقاه لغيبة أهلي وسكاني فكل حنين يقصر عن حنيني وكل دواء غيرهم لا يشفيني ، وها أنا قد لبست لفقدهم أثواب الأحزان وآنست بعدهم بجلباب الأشجان وأيست أن يلم في التجلد والصبر وقلت يا سلوة الأيام موعدك الحشر ولقد أحسن ابن قتيبة رحمه الله تعالى وقد بكى على المنازل المشار إليها فقال :

مررت على أبيات آل محمد ... فلم أرها أمثالها يوم حلت

فلا يبعد الله الديار وأهلها | وإن أصبحت منهم بزعمي تخلت
ألا إن قتلى الطف من آل هاشم | أذلت رقاب المسلمين فذلت
وكانوا غياثاً ثم أضحوا رزية | لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
ألم تر أن الشمس أضحت مريضة | لفقد حسين والبلاد إقشعرت

فأسلك أيها السامع بهذا المصاب مسلك القدوة من حماة الكتاب .

فقد روى عن مولانا زين العابدين عليه السلام وهو ذو الحلم الذي لا يبلغه الوصف إنه كان كثير البكاء لتلك البلوى وعظيم البث والشكوى .

فروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إن زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه أربعين سنة صائماً نهاره وقائماً ليله فإذا حضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه فيقول كل يا مولاي فيقول قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جائعاً ، قتل ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عطشاناً ، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبتل طعامه من دموعه ثم يمزج شرابه بدموعه فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل .

وحدث مولى له : أنّه برز يوماً إلى الصحراء قال فتبعته فوجدته قد سجد على حجارة خشنة فوقفت وأنا أسمع شهيقه وبكائه وأحصيت عليه ألف مرة يقول لا إله

إلا الله حقاً حقاً لا إله إلا الله تعبداً ورقاً لا إله إلا الله إيماناً وتصديقاً وصدقاً .

ثم رفع رأسه من سجوده وإن لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينيه ، فقلت : يا سيدي أما آن لحزنك أن ينقضي ولبكائك أن يقل ؟ فقال لي : ويحك إن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، كان نبياً ابن نبي له إثنى عشر إبناً فغيب الله واحداً منهم فشاب رأسه من الحزن وإحدودب ظهره من الغم وذهب بصره من البكاء وإبنه حي في دار الدنيا وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر من أهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي وها أنا أتمثل وأشير إليهم صوات الله عليهم فأقول :

من مخبر الملبسينا بانتزاحهم ثوباً من الحزن لا يبلى ويبلينا
إن الزمان الذي قد كان يضحكنا بقربهم صار بالتفريق يبكينا
حالت لفقدهم أيامنا فغدت سوداً وكانت بهم بيضاً ليالينا

وها هنا منتهى ما أوردناه وآخر ما قصدناه ومن وقف على ترتيبه ورسمه مع إختصاره وصغر حجمه عرف تميزه على أبناء جنسه وفهم فضيلته في نفسه

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد
وآله الطيبين الطاهرين المعصومين

كتاب
حكاية المختار
في أخذ الثأر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب فيه أخذ الثأر وانتصار المختار على الطغاة الفجار

روى أبو مخنف رضي الله عنه قال: لما قتل مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة الحسين بن أمير المؤمنين عليهما السلام واستولت بنو أمية لعنهم الله تعالى على الملك وكان بالكوفة رجل معلم صبيان في مكتب يقال له عمير بن عامر الهمداني وكان ذو عقل وأدب وكان موالياً لأهل البيت عليهم السلام ، فلما كان في بعض الأيام مر به رجل يسقي الماء فقل له عميراً : إسقني ماء فناوله شربة ماء فشربها . فقال : (اللهم العن من قتل الحسين ومن منعه شرب الماء) . قال : وكان من جملة الأولاد ولد سنان بن أنس النخعي (لع) قال فلما سمع الولد ذلك من المعلم قال لعمير هكذا تسب الخليفة وتلعن الأمير عبيد الله بن

زياد ! فقال له المعلم : يا غلام إعرض عن هذا الكلام ولا تعد عني مما سمعت وأنت عندي مثل ولدي . ثم إن الصبي صبر إلى وقت الإنصراف فانصرف مع الصبيان ودخل في خرابة وجرح نفسه بسكين كانت معه وفضخ رأسه بحجر وخضب وجهه بالدم ومضى إلى أمه ، فلما رأته أمه كذلك صرخت في وجهه وقالت : يا ولدي من فعل بك هذا ؟ قال : إعلمي إن المعلم عبر إليه ساق يسقي الماء فناوله شربة ماء فشرب فطاب له الماء فلعن الخليفة ولعن الأمير عبيد الله بن زياد (لع) فلمته على ذلك ففعل بي هذا الفعل . فأخذته أمه الملعونة ومضت به إلى إبن زياد (لع) ونادت بأعلى صوتها النصيحة فخرج إليها أبو الصبي وكان من خواص إبن زياد الملعون الفاجر الفاسق (لع) ، فلما رأى ولده على تلك الحال قال : يا ويلك من فعل بك هذا الفعل ؟ فحدثته إمرأته الملعونة بالحديث من أوله إلى آخره ، فلما سمع أخذه وأدخله على عبيد الله بن زياد الملعون ، وقصّ عليه القصة من أولها إلى آخرها وزاد عليها زيادة كثيرة ، فلما سمع ابن زياد الملعون قال : لبعض قواده أحضروا عمير بن عامر الهمداني مكتوف اليدين مكشوف الرأس سريعاً هذه الساعة . وأحضروه بين يدي فمضت القواد من وقتهم وساعتهم وقبضوا على المعلم وجاؤا به

وأحضروه بين يدي ابن زياد (لع) ، فلما رآه قال لـه : يا ويلك أنت الـذي سببت الخليفـة والسـاب لي ؟ فقـال المعلم : معاذ الله أيها الأميـر إني ما قلت شيئـاً من ذلك ولكن احضـر الساقي وعقـلاء الصبيـان فـإن شهـدوا على ذلك فلا يؤاخذك الله فيما تعمله فيَّ . قـال أمر إبن زيـاد أن يحبسوه في الطامورة . وكان لها ثلاث أبواب على كل باب قفل يقفل فيه ويختم بختم عليه عبيد الله بن زيـاد . قال عمير فأدخلوني الباب الأول والثاني حتى نزلت تحت الـطامورة بعشـرين ذراعاً ، فلمـا نـزلت فلم أُبصـر شيئـاً فصبرت ساعة فأضاء لي الموضع فرأيت قوماً في الميـلاد وهم يستغيثـون فـلا يغـاثـون منهم أقـوام مقيـدون ومنهم جمـاعة مغلولـون وسمعت في آخر الـطامورة أنينـاً عاليـاً فتخطيت رقاب من كان بين يدي حتى وصلت إلى الأنين وإذا بـرجل مقيـد مغلولة يـديه على عنقـه وهو جـالس لا يقـدر أن يلتفت يمينـاً ولا شمـالاً وهـو في ذلـك الحـال يتنفس الصعداء، فسلمت عليه فرد علي السلام ورفع رأسه ونـظر إليَّ ، وإذا بشعره قـد غطا عينيـه ووجهـه فقلت يـا هـذا : ما الـذي جنيت حتى نزلت بـك هـذه المصيبـة ؟ فقـال : لأني من شيعة علي بن أبي طـالب عليه السلام ومـولى ولـده الحسين عليه السلام . فقلت لـه من أنت ؟ من أصحـاب الحسين عليه السلام ؟ فقـال : أنـا المختـار بن عبيدة الثقفي ،

قال عمير : فلما سمعت كلامـه بكيت عليه فقبلت رأسـه ويـديـه ، فقـال لي : من أنت يـرحمـك الله ؟ فقلت أنـا عميـر بن عـامــر الهمـداني ، وقــد كنت أُعلم الصبيـان فحكيت لـه قصتي كلهـا ، فقــال المختـار : ليس هــذا مــوضــع المعلميـن بــل مــوضــع من يــأخــذ بثــأر الحسين عليه السلام ، روحي فـداه ولكن أنت يـاعميـر لا تغتم وطب نفساً وقر عيناً فأنت تخرج عن قريب ، قال : فبقي المختار والمعلم أيامـاً قلائل ، قال : وكـان للمعلم إبنة أخ وهي دايـة في دار ابن زيـاد (لـع) قـد أرضعت أولاده فلمـا سمعت بخبر عمهـا دخلت على حضيـة زوجـة ابن زيـاد الملعـون وشقت جيبهـا وهي تبكي ، فقـالت لهـا حضية: ما الذي أصابـك ؟فقالت : إعلمي يـا سيدتي إن عمي شيخ كبير وهو معلم أولادكم وقد وجب حقه عليكم وقد كذب عليه صبي بكلام لم يقله وقد حبسه الأمير لعنه الله في الطامورة لعل الله يفك أسره على يدك ويفرج عنه بسببك . فعند ذلـك قالت حضيـة : حباً وكـرامة ثم إنهـا نهضت ودخلت على ابن زيـاد الملعـون وكــانت أحـظى نســائـه وأوجههن إليـه ، فقـالت : أيهـا الأميـر إن عميـر المعلم له علينا إحسان وقد وجب حقه علينا وهو مكذوب عليه فيما قيـل فيه ، وأسـألك أن تمنَّ عليَّ فيـه وأن تهبه لي ، فقال لها : حباً وكرامة .

(ثم إنه) دعى في الحال والوقت ببعض حجابه وقال له إنطلق إلى عمير المعلم وأخرجه من الطامورة وآتني به فمضى الحاجب في الساعة وأتى إلى الطامورة وفتح الأقفال وكان في ذلك الوقت المعلم والمختار يتحدثان فلما سمع الأقفال تنفتح قال للمعلم إعلم إن هذه الساعة يفرج الله عنك وتخرج ، فقال عمير : والله يصعب عليَّ فراقك وإن كنت كارهاً لهذا الموضع فلما وجدتك إشتهيت أن لا أفارقك طرفة عين ، قال : فعند ذلك قال المختار : إن رأيت أصلحك الله تعالى أن يقضي لي حاجة يجزيك الله تعالى عنها الثواب الجزيل ويكون لك عندي منزلة إن كان لي سلامة ، فقال المعلم: وما هي حتى أحتال في قضائها ، فقال : أُريد أن توصل إليَّ ورقة ولو قدر شبر وقلماً ولو قدر إبهام ومداد ولو في قشر جوزة بها حاجة لي . فقال المعلم : حباً وكرامة إنشاء الله ولا يكون خاطرك إلا طيب . قال : فبينما هم يتحدثان وإذا بالحاجب قد دخل وأذن للمعلم بالخروج فخرج هو والحاجب حتى مثل بين يدي عبيد الله (لع) فلما رآه قال له : عميراً قد عفونا عنك وعفونا عن زلتك لأجل من قد سألنا فيك فإياك أن تعود إلى مثلها أبداً فقال عمير أنا تائب على يدك إنني لا أعود إلى تعليم الصبيان ولا أجلس في مكتب بعد هذا الأمر ثم استرخص من عبيد

الله بن زياد وانصرف إلى منزله ودخل على زوجته وأوفاها صداقها وطلقها لأنه كان خائفاً منها أن تظهر خبره وكان صاحب مال وقال في قلبه لا بد أن أُفرغ همتي في قضاء حاجة المختار ، ثم إن عمير أعمد إلى بهيمة سمينة فشواها وجعل معه خبزاً كثيراً وفاكهة كثيرة وجعل معه ألف دينار وألف درهم وحمل ذلك كله على رأسه وسار في الليل حتى لا يعلم به أحداً ، حتى أتى دار السجان فلم يجد السجان حاضراً فخرجت إليه زوجته فسلمت عليه وسلم عليها وسلم لها ما كان معه وقال لها إذا قدم زوجك سلمي لي عليه وقولي له إن المعلم الذي كان عندك في الطامورة يقول إنني نذرت لله تعالى نذراً بأني متى فك الله سبحانه وتعالى سجني أهديت لك هذا وتركها ومضى عنها فلما ورد السجان إلى منزله حملت إليه جميع ما أهداه عمير فلما رآه حل المنديل وإذا فيه ذلك كله ففرح بذلك وقال هذا من أين قالت له : إن المعلم الذي كان عندك في الطامورة يقرئك السلام ويقول إني نذرت لله نذراً متى فك الله سجني أهديت لك ذلك وسلمه إليَّ ومضى ، قال راوي الحديث : فلما كان اليوم الثاني فعل مثل ما فعل بالأمس وحمله في زنبيل فلم يجد السجان حاضراً فسلمه إلى زوجته وقال سلمي لي على زوجك وقولي له ما قلت بالأمس .

قال : فلما حضر السجان : قالت له جميع ما قاله المعلم واحضره بين يديه ما أهداه المعلم ، قال السجان والله ما هذا الأجل نذر بل هذا الأجل المختار لا محالة (قال أبو مخنف) وكان ممن أسائه وأحزنه قتل الحسين عليه السلام ولما كان اليوم الثالث إستخلف السجان أخاه بموضعه وعاد إلى منزله وقعد يترقب المعلم وعمد إلى حائل سمينة وشواها وترك تحتها نقداً كثيرة وخبزاً كثيرة وفاكهة كثيرة وأخذ منديلاً دبقياً وشف فيه ألف دينار وألف درهم وجعل جميع ذلك على رأسه ومضى في الليل إلى دار السجان على العادة المستمرة فصادف السجان على الباب فسلم كل واحد منها على صاحبه فأخذه السجان وأدخله الدار فسلم إليه عمير ما كان معه، فقال السجان : يا أخي والله لقد أحشمتني بكرامتك فعرفني ما حاجتك حتى أنظر في قضائها ، فقال يا أخي قد نذرت لله نذراً متى فك الله تعالى أسري وخلصت مما أُتهمت فيه أهديت لك ذلك ، فقال السجان : دع عنك هذا الكلام وأذكر لي ما تريد فقال : حق الله العظيم ورسوله النبي الكريم وحق الحسين صلى الله عليهم أجمعين لاقضيتها ولو كانت بذهاب نفسي فقال عمير : إعلم يا أخي إنه لما حبسني هذا الظالم الفاجر الملعون في الطامورة رأيت المختار وهو في حالة

ردية صورته قد تغيرت فشكى إلى الله وإليَّ حاله وقد أحرق قلبي سوء حاله وسئلني أن أوصل إليه بياض ولو بقدر شبر وقلما ولو بقدر عقد إبهام ومداداً ولو بقشر جوزة ، يكتب فيها حاجة له وأريد أن تحتال لي في ذلك وتوصل إليه ما قلت لك ، فقال السجان : حباً وكرامة ، فإذا كان الغد فاشتري خبزاً يكون قرصاً وأترك بين الأقراص بياضاً واشتري قثاء ويكون في القثاء قلم واشتري جوزاً واترك ، وفي جملة الجوز مداد وتحمل الجميع على رأسك وتجيىء إليَّ وتسلم عليَّ وتقول لي إني نذرت نذراً متى خلصت من الحبس هذا للمحبوسين ، وتراني أقوم إليك أضربك وأشتمك وأرمي الخبز من أعلى رأسك فينبغي أن تتوسل بي وتتضرع علي بما تقدر عليه حتى آخذ الطعام وأُدخله إلى المختار وأُوصل إليه حاجته .

فعند ذلك فرح المعلم وقبَّل يدي السجان وخرج من عنده وبات تلك الليلة فما كان في الغداة أحضر المعلم جميع ما ذكره وحمله وجاء إلى السجن فنظر السجان إليه ، وقال : ما معك ؟ فقال معي نذر للمسجونين والمحبوسين فقام إليه السجان وضربه وشتمه ورمى الخبز من أعلى رأسه فتوسل به المعلم وقبل يديه كثيراً فبعد إلحاح كثير أخذ الطعام من المعلم وأوصله إلى

المختار ، ففرح المختار بذلك وحمد الله كثيراً وأخذ الكاغذ وقطعه نصفين وكتب إلى أُخته كتابة وكتب إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب كتابة أُخرى وسلمها إلى السجان وأمره أن يسلمها إلى المعلم ، فأخذ السجان المكتوبين وسلمهما إلى المعلم ففرح المعلم بذلك فرحاً شديداً .

قال أبو مخنف :

وكان عند السجان صبي قد إلتقطته زوجته وكفلته إلى أن أدرك ، فقال السجان لإمرأته : إعلمي إن هذا الغلام قد أدرك ولست آمنه على بناتي ، فقالت إمرأته : هذا بمنزلة ولدنا وما يطيب عليَّ أن نخرجه من عندنا فسمع الصبي كلامها وقد صار له إطلاع بما صار بين المعلم والسجان من أمر المختار ، فأسر الغلام ذلك في نفسه فلما كان الغداة سود وجهه وشق جيبه وخرج إلى قصر الإمارة ونادى النصيحة النصيحة للأمير (لع) وإن غفل عنها كان فيها زوال ملكه ، فأحضروه بين يدي عبيد الله بن زياد (لع) وقال له : ما نصيحتك أيها الغلام ، فقال : أيُّها الأمير إعلم أنَّ المعلم الذي حبسته في الطامورة حمل إلى المختار طعاماً وجعل فيه كذا وكذا ، وقال له كل ما جرى بينهما ، فلما سمع ابن زياد الملعون الفاسق الفاجر ذلك الصبي إنقلبت عيناه في

رأسه كالخنـزير (لـع) وركب من وقته وسـاعته وذهب إلى دار السجن فقام أصحاب السجن هيبة له ثم إنه أقبل إلى السجـان وشجه بـالسوط وأمـر به فسحبـوه وضربـوه حتى خضبه بدمه ثم أحضروا المعلم وضربوه ضرباً شديداً فأمر بضرب عنقه وعنق السجان ، فقال السجان : أيها الأميـر ما جنينا حتى نستوجب القتل؟ فقال : يا ويلك اظننت إنه يخفى عليَّ مـا فعلتم وتحيلتم بـه أنت والمعلم ، تُنْـزِلْ على المختار قلما في قثاء ومداد في قشر جوزة ، وكاغذاً في طيات الخبز ، وتـريد في ذلـك زوال ملكي ، فقال : أيها الأمير هذا أنا والمعلم حاضرين بين يديك ، ما غاب منـا أحد ولا مضى على هـذا الخبر يـومان ومـا أظن أهل السجن أكلوا من الخبـز شيئاً فينبغي أن تفتش الـطعام إنْ فيه مما ذكرت شيء فدمائنا على الأمير حلال .

فأمر ابن زياد الملعون غلمانه أن ينزلوا إلى الطامورة ويصعـدون إليه جميـع ما فيهـا من الطعـام ، ففعلوا ذلك وفتشوا فلم يجدوا فيه شيئاً وأسبل الله تعالى عليهم السـتر فاستحى ابن زياد مما فعل وقال : عليَّ بالغلام فلما مثـل بين يـديه قـال لـه : يـا ويلك كيف عملت هـذا الكـذب فتلجلـج الغلام فعند ذلك قبَّل السجـان الأرض بين يدي عبيد الله بن زياد (لع) ، وقال : أيها الأمير هذا من يعمل

الإحسان في أولاد الزِنـا ، هذا الصبي وجـدناه مـرمياً في ظهر الكوفة فأخذناه وربينـاه وأحسنا إليـه حتى بلغ الحُلم فلم آمنه على بناتي وعلى حـرائمي ، فقلت له : أُخـرج من بيتي فـأسر ذلـك في نفسه وأراد هـلاكي عنـدك أيهـا الأميـر ، قـال : فلمـا سمـع عبيد الله بن زياد (لع) كـلام السجان تعذر عند السجان والمعلم وأخلع عليهما وخفف عن المختار وأمر بضرب رقبة الغـلام (لع) وانصـرف ابن زياد (لع) .

قال أبو مخنف رضى الله عنه :

وأمـا ما كـان من أمر المختـار فـإنـه لمـا نـزلـوه إلى الطامورة أخـذ قشرة الجـوزة مع مـداده ودفنه في مـوضع حبسه ودفن القلم في موضع آخر ، وأمـا المعلم إنه لمـا طاب خاطره من أمر ابن زيـاد (لع) قـام من وقته وسـاعته ودخل الحمام وأخذ شعره وتنظف ومضى إلى باب عبيد الله بـن زياد (لع) ولبا وقال الملعـون ابن زياد : من هـذا الملبي ؟ فقيل له : المعلم أيها الأمير الـذي أنعمت عليه وأطلقته من السجن ، ويقول إنـه نذر لله متى خلص ممـا أُتهم فيه يحج بيت الله الحرام ، وقد عـزم على المسير ، فقال : أدخلوه عليَّ فأدخلوه عليـه ، فلما مثـل بين يديـه قال له : يا عمير تمضي إلـى المـدينـة قـاصداً مكـة أم

مكة قبل المدينة؟ فقال له المعلم : أيها الأمير قد نـذرت الحج تاماً ، فقال ابن زيـاد (لع) أعـطوه ألف دينار وألف درهم . فأخذها عمير وتصدق بها على فقـراء المؤمنين ، وخرج قاصداً إلى المدينة ولم يزل يجد السير أياماً وليالي حتى وصل إلى المدينة فدخـل دار عبد الله وكـانت زوجة عبـد الله بن عمر أُخت المختـار ، وكان ذلـك اليوم عنـد عبد الله غرايب الطعام مطبوخاً ومشويـاً ، ويقول لهـا عبد الله تقدمي وكلي من هذا الطعام وهي تقـول لا آكل حتى أعرف خبر أخي بأنه طيب سالم ، فبينما هما كذلـك وإذا المعلم دخل عليهما ، فلما وصل إلى البـاب ودقه خـرج الخادم إليه فقال : من أنت ؟ قال رجل من أهل الكوفة ، فلمـا سمعت أُخت المختار وفـد عميـر على عبـد الله بن عمـر وإذا هو شيـخ حسن الشيبة فسلم كـل واحد منهمـا على صاحبه وقـدم إليه المـائدة فـأكل منهمـا حتى إكتفى وغسل يديه فعند ذلك أخرج المعلم المكتوبين وأعطاهما إلى عبـد الله بن عمر بن الخـطاب وقرأ كتـابه فلمـا إطلع عليـه بكى وخنقتـه العبـرة ودخـل على زوجتـه وقـال : إبشـري هذا كتـاب أخيكِ إليـك وهذا كتـاب أخيـكِ إليَّ فلما رأت ذلك بكت بكاء شديـداً وقالت : سـألتك بـالله العـظيم ورسولـه النبي الكريم الّا مـا أذنت لي بالخـروج إليه فأنظر إلى من نظر إليَّ غرة أخي ؟ فأذن لهـا في ذلك

فخرجت إليه وجلست عنده وقالت : يا أخي أنا أعلم إنه ما حملك على قضاء حاجته إلا حُبك للحسين عليه السلام ألا تخفي عليَّ من أمره شيئاً فحدثها بحديث أخيها من أوله إلى آخره حتى ذكر أنه مقيد مغلول وقد إسود وجهه وفي وجهه ضربة يخرج القيح منها وقد منع ابن زياد الملعون الأطباء عن معالجته قال : فلما سمعت ذلك قامت صارخة ودخلت منزلها وجزت شعرها وشعر بناتها وخرجت به ورمته بين يدي عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فقال : ويلك ما هذا ! فقالت : هذا شعري وشعر بناتي فوالله لا اجتمعت أنا وأنت تحت سقف واحد وأخي على تلك الحالة فعذلها زوجها على ذلك ولامها ، وقال : والله لو لحقت رجلاً ثقة أستأجره ليوصل كتابي إلى يزيد بن معاوية (لع) ما كان أخوكِ يلبث ساعة في السجن ، فقال المعلم : أنا أمضي ، قال : فعند ذلك فرح عبد الله بن عمر فرحاً شديداً وقر غاية السرور وكتب إلى يزيد بن معاوية (لع) ثم دعا بثياب ديباج ولف فيه شعر رأس زوجته وشعر بناتها ودفعه إلى عمير كتاباً يتلطف به ويدعو له وذكر في الكتاب أشياء تحثه وأكد عليه تأكيدات بتخلية سجن المختار وكتب عنوانه من عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية ، قال لعمير : امضِ بارك الله فيك وادفع كتابي إلى يزيد ، فإذا قرأه فأحضر

لـه الثوب وأراه مـا فيه فكتب إليـه شـر مـا فعلت زوجتي بنفسها وبناتهـا ، تقضي الحاجـة إن شاء الله تعـالى ، ثم قال إلى عمير بن عـامر : أُوصيـك إذا وصلت إلى دمشق فاصبر ثلاثة أيام ثم ادخل الحمام وتنظف .

قال : ثم أمر عبد الله بـن عمر أن يوطأ لـه ناقـة وهيأ له زاداً وماء ثم إن عمير استوى على كـور ناقتـه ولم يـزل يسيـر حتى ورد إلى دمشق فدخلهـا واكترى حجـرة وكـان في كل يوم يأتي مسجداً كـان قريبـاً منه فيصلي مـع أهل المحلة وكان إذا فرغ من صلاته يقول رحم الله الذي قـد دعا لي بقضاء حـاجتي ثم إنّه يـأتي إلى باب يـزيد يـريد الدخول فلا يمكنه الدخول .

فلمـا كـان في بعض الأيـام قـال لهم الإمـام الـذي يصلي بهم يا قوم إن أهـل الكوفـة فيهم الجفاء والشقـاوة وما نرى من هـذا الشيخ إلا الخيـر والعلم والمعرفـة ومع ذلك سمعناه يقول رحم الله الذي دعا لي بقضاء حـاجتي فلم لا نسأله عن حاجته ما هي ؟ فقالـوا أيها الشيـخ أنت أحق بالمسألة أكثر منا .

فلما كان من الغد ورد عمير على العادة وقال مثل ما قاله أولاً فلما خرج عمير وخرج إمام المسجد خلف عمير إلى منزله ودخل عليه فـرفع مـوضعه وجلس عنـده ساعـة

وقال له : يـا أخي إنا سمعنـاك تقول رحم الله الـذي قـد دعا لي بقضاء حاجتي وما سألناك عن حاجتك ما هي فإن كـان عليك دين فنحن نقضيـه وإن كـان دم فنحن نفـديـه بأموالنا وأنفسنا .

فلما سمع عمير كلامه أطرق إلى الأرض ما يدري ما يقول ويخشى أن يحدثه بذلـك فيكون من بني أمية فلما رآه الإمـام كذلـك أقبل عليـه وقال يـا هذا الـرجل مـالك مطرقاً تخشى مني أن تبـوح بسرك فـوالله العظيم ورسـوله الكـريم وحق أمير المؤمنين وحق الحسن والحسين عليهم السلام لئن أخبـرتني بحاجتـك لأقضيتها لـك ولو بـذهاب نفسي ومالي .

فلما سمع كـلامه وثق بـه وقال : إعلم يـا أخي إنني رجـل من أهل الكـوفة وإسمي عميـر بن عامـر ، وحدثـه بالحديث من أولـه إلى آخره ولم يخفِ منـه شيئاً . فلمـا سمع كلامه وعرف مرامه ، وقال له : يا أخي إذا كان من الغد ألبس أفخر ثيـابك وتبخـر وتطيب حتى يـذهب عنك درن السفـر والبس فوق ثيـابك ثـوب ديبقي وشد وسـطك بمنـديل واجعـل الثوب الـذي فيه الشعـر تحت إبطك واتـرك على كتفك مئزراً وادخل كأنـك بعض الغلمان فـإذا أتيت إلى دار يزيد الملعون ، ووصلت إلى الباب الأول ترى دهليزاً

طويلاً على اليمين دكتان وعلى الشمال دكتان عليها بسط من الـديباج الأحمـر وعلى كل دكة مائة حاجب وترى على البـاب ثـلاث أبـواب فـادخـل ولا تسلم عليهم فيجيبـوك وبعض الغلمان الذين يدخلون ويخرجون من كثرتهم فـلا يعارضك أحد فإذا دخلت الباب الثاني ستـرى داراً عاليـة ودهليـزاً وعلى الجانبين دكتـان وفراش من حـرير وديبـاج وعلى كل دكة مائة غلام وعلى فراش كـل خادم سقـلاني يـروحه والسيـوف والدروق معلقـة على الحيطان فـادخل عليهم ولا تسلم عليهم ثم إنـــك تــأتي إلى دار عـــاليـــة ودهليـزها طـويل وأطول من أول وفيـه دكتان على كـل دكة منهما بساط من الأبريسم الأصفر وعلى كل دكة زهاء مـائتين غلام جـرد مرد متكئين على وسـائد الـديباج على رأس كـل خادم خمس خـدم سقاليـه عمر كـل واحد من الخدم تسع سنين وهم يروحونهم بمراوح الذهب فجزهم ولا تعبأ بهم ، ثم تدخل إلى الدهليز الرابع ، وفيه دكتان وعلى كـل دكة بسـاط من الوشي الأصفـر على كـل دكـة زهاء ثلاثمائة غلام أسود مرداً وعلى كل رأس واحد منهم غـلام يروحـه فجزهم ولا تعبـأبهم ، ثم تـأتي إلى دهليـز خـامس ، وفيه دكتـان عليهما فـرش من الديبـاج وعليهما قـــوم يقـــال لهم الـــطشتيـــة وهم الـــذين قـــدمـــوا رأس الحسين عليه السلام بين يـزيد الملعـون في طشت من الـذهب

وهم زهاء من خمسمائة عدد بأيديهم الحراب المسقية وما لهم شغل غير اللهو واللعب فجزهم ولا تعبأ بهم ، ثم تأتي دهليز سادس سترى فيه دكتان عليهما فرش الزقلاط وعليهما زهاء من خمسمائة غلام وهم الذين كانوا خاصة فجزهم المشورة ولا تعبأ بهم ثم تأتي إلى دهليز سابع وفيه قوم قعود على بسط قد تعبت صناعها وأسهرت فيها عيونهم من غرائب صناعها ودقته وهو مصور فيه سائر ما خلق الله تعالى من الطيور والوحوش على دكتين فلا تنظر إليهم ولا تلتفت فإن التفت إليهم يشكون فيك فيقولون هذا غريب وهم الذين حملوا رأس الحسين عليه السلام إلى يزيد الملعون فجزهم ولا تعبأ بهم ، ثم تأتي إلى دهليز ثامن ستجده خالياً من الخدم وسترى فيه من الصور المختلفة وسقوف قد أجرى عليها ماء الذهب الذي قد تعب صناعها ثم تخرج إلى دار عالية علوها أربعون ذراعاً في أربعين ذراع فيها بساط على الدار وعرضه عرض قد تعب فيه أيدي الصناع وهو وصلة واحدة وهو محشو بريش النعام مبطن بالحرير وهو من صدر الدار إلى باب الحمام حتى لا يطأ يزيد على الأرض فقف في جنة الدار ساعة في مقدار ما تطلع الشمس فعند ذلك يخرج غلام حسن الوجه عليه قباء ديباج أحمر وعلى رأسه عمامة خز وفي رجليه أخفاف من الأديم الأسود وبيده مفخرة من الفضة

وفيها عود وند وعنبر حتى إذا أتى يزيد إلى الحمام وخرج يبخروه ثم يخرج بعده غلام لباسه مثل لباس الأول وبيده كوز مملوء من ماء الورد ومسك وعنبر حتى إذا خرج يزيد الملعون من الحمام رش عليه من ذلك الماء ثم يأتي غلام ثالث حسن الوجه كأنه قمر منير عليه قباء من ديباج أسود محلول غير مشدود وعليه عمامة سوداء وفي رجليه مداس من الديباج الأسود فهو إذا رآك يأتيك مقبلاً يسئلك عن حالك وهو يقضي حاجتك لأنه ممن يوالي الحسين عليه السلام وهو من يوم قتل الحسين يلبس السواد وهو الذي إشترى رأس الحسين عليه السلام بمائة ألف دينار ورده إلى كربلاء وهو صائم النهار قائم الليل ويفطر على خبز الشعير ويعمل الزنانير ويبيع كل يوم زناراً بخمسمأة درهم وينفق على نفسه بعضاً ويتصدق بالباقي على فقراء الشيعة ولا يأكل من مال يزيد شيئاً أبداً ولم يكن مملوكاً له بل يخدمه ويزيد الملعون مشغوف بحبه ولا يقدر أن يفارقه ولا يغضبه أبداً وكل ما حوت مملكته مطيعون له لما يرون من محبة يزيد الملعون له وترى معه منديل أبريسم ومنشفة ديبقى فإذا رأيته فاسرع إليه وقبل يديه وأعطيه الكتاب وقل له إني من شيعة الحسين عليه السلام وبح بسرك إليه فإنه يقضي جميع مآويك ويبلغك لأنه أستاذ الدار والمرجوع إليه والمطاع أمره وكل الخدم يخدمون

يزيد (لع) بالنوبة إلا هو لأن يزيد الملعون لا يأمر سواه ولا يقدر أن يفارقه وستراه إذا ذكرت له الحسين عليه السلام يبكي بكاء شديداً فسلمه الكتاب وأنظر ما يأمرك به فافعل، فقال له عمير : جزاك الله خيراً ثم انصرف الإمام من عند عمير فلما كان من الغد صلى عمير صلاة الصبح ، وأتى بعيبة كانت معه فاستخرج ثوب ديبقي وثوب رومي فلبسهما ولبس فوقهما ثوب خز وتعمم بعمامة خز كوفية كبيرة ولبس خفين من أديم أسود وتطيب وخرج والكتاب معه والشعر وهو ملفوف في الثوب وهو تحت إبطه حتى رقى دار يزيد فرآه كما وصفه له إمام المسجد لم يغادر منه حرفاً ، قال عمير: وجعلت أخترق دهليزاً بعد دهليز حتى وصلت إلى البساط فجعلت أنظر إليه وأفكر فذكرت وصية الشيخ وقوله عندئذٍ فجزت وسمعت إلخ . . .

(هكذا الخبر) فلما كان من الغد أمر عبد الله بن عمر بن الخطاب لعمير بألف دينار وألف درهم ووطأ له على مركوب فره سريع السير ، وضبط عمير نفسه وودع عبد الله أخت المختار وقرأ له الفاتحة واستوى في ظهره مطيته وسار طالباً إلى دمشق ولم يجد السير حتى وصل إلى دمشق وبقي مقيماً أيام فلما كان في اليوم الرابع دخل الحمام وأخذ شعره وتنظف وتطيب حتى زال عنه ريح

السفر ثم إنه لبس ثوب ديبقي مرتفعا عن الأرض ولبس من تحته ثوب رومي وشد وسطه بمنديل ديبقي وتعمم بعمامة خز وجعل على كتفيه منديل ديبقي وجعل المئزر الذي فيه الشعر تحت إبطه وسار طالباً دار يزيد الملعون الفاجر الفاسق (لع) في الدارين ، وإذا هو بالبوابين على الباب الأول كما ذكر له عبد الله بن عمر ودكتان مفروشتان بالديباج زهاء من ثلاثمائة بواب فجازهم ولم يعبأ بهم ودخل الباب الثاني والثالث والرابع وهم كما وصف له عبد الله بن عمر ثم إخترق الدهليز الخامس وإذا فيه قوم جلوس يقال لهم الطشتية وهم الذين قدموا رأس الحسين عليه السلام بطشت من الذهب بين يدي يزيد (لع) .

قال عمير : فلفتهم بقلبي ودخلت الدهليز السادس وإذا هو مفروش بالزقلاط وفيه خمسمائة غلام وهم خواص المشورة فجزتهم ولم أعبأ بهم وما أحد أنكرني من كثرتهم ثم اخترقت الدهليز السابع وإذا فيه بساط قد أتعب صناعه وأسهرت أحداقهم من غرائب صنعته ودقة حكمته فيه كلما خلق الله من صور الوحوش والطيور فجعلت أفتكر فيه ساعة زمانية ، ثم إني ذكرت ما أوصاني به عبد الله بن عمر ، وسمعت قائلاً يقول :

ما أكثر الدخول هذا اليوم إلى هـذا المكان فقـال له بعضهم يـا ويلك دار فيهـا عشـرة آلاف حـاجب وخـادم ولكـل واحد منهم خـدام بحسب حـالـه ، كيف تستكثـر الـدخـول قـال فجـزتهم ولم أعبـأ بهم حتى إنتهيت إلى صحن الـدار وإذا طولهـا أربعون ذراعـاً وعرضهـا كذلـك وإرتفاعها كذلك وفيها بساط واحد قد تعب أيـدي الصناع مما عملت فيه من التماثيل والصور وهو من باب مقصورة يـزيد (لـع) إلى باب الحمـام إلى بـاب الـدهليـز وذلـك البساط محشو بريش النعام وريش العصفور الهندي مبطن بالحرير الأصفر حتى لا يطأ يزيد الملعون على الأرض ، قال عمير : فلم أر مثـل ذلك البسـاط أبداً فبقيت متفكـراً في عمله وفي جبروت يزيد الملعون فبينما أنا كذلك وإذا بغلامين ومعهما المبخرة وهما ماضيان إلى الحمـام وكان (لع) لا يدخل الحمام إلا مصبحاً فما كان هنيئة إلا وأقبل غـلام ما رأيت أحسن منـه وجهاً وعليـه قباء ديبـاج أسـود محلول غير مشدود وعلى رأسه عمامة سوداء وعلى كتفيـه منشفة ديبقى وبيده منديل أبـريسم ، فلما رآني أقبـل إلي مسـرعاً وقـال لي : لا إلـه إلا الله محمـد رسـول الله أين كنت يا عمير منذ سبعة عشـر يومـاً وما الـذي أخرك فقـد والله أقلقت ليلي ونهـاري بـانتـظارك وتـوقعي بمجيئـك ؟ فقلت له : يا سيـدي ومن أين لك علم بـأن إسمي عمير

ومن الذي أخبرك إنني دخلت دمشق منذ سبعة عشر يوماً ! وما رأيتك وما رأيتني قبل هذا اليوم ! فقال : يا عمير إنني رأيت سيدي ومولاي الحسين عليه السلام في منامي منذ سبعة عشر يوماً وحدثني بحديثك وأوصاني بقضاء حوائجك ، فقلت : يا مولاي فأين هو حتى أمضي إليه ، فقال : ما يحتاج فهو يأتيك فاقضي حاجته وأعلمه إن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجزيك غداً وهو شفيعه وشفيعك ، غداً وإني سابقه إلى الجنة وتكونان في جنة النعيم وإنه بين يدي مع شيعتي أوقفهم بين يدي الحق فأقول : هؤلاء الذين نصروني وجاهدوا بين يدي .

ثم إن الغلام بكى وبكيت معه ، فبينما نحن كذلك وإذا قد أقبل الخدم بعضهم صغار وبعضهم كبار وهم زهاء من ستمائة غلام بالأقبية الديباجية ومناطق الذهب ، وبأيديهم دنابيس الجوهر وإذا يزيد الملعون الفاسق الفاجر أقبل وعليه ثوب ديبقي محلول الأزرار وعلى رأسه رداء مطوى أربع طاقات معلم بالذهب وفي رجليه نعلان من ذهب شراكهما من اللؤلؤ الرطب والفضة البيضاء مبطنتان بالحرير وهو يتوكأ على قضيب من خيزران مكتوب عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال عمير : فلما رأيته ذكرت مولاي الحسين عليه السلام وجرت دموعي .

ثم إن الغلام أخذ الكتاب مني والمئزر الذي فيه الشعر واستقبله من قبل دخول الحمام وقال له يا خليفة الوقت والزمان اليس لي في عنقك بأن حلفته بحق والدك أن تقضي لي في كل يوم حاجة وهل سألتك منذ قتل الحسين عليه السلام حاجة ؟ قال : لا ، ثم قال له (لع) : وهل لك حاجة ؟ قال : نعم ، قال : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي إليك أن تقرأ هذا الكتاب وترد الجواب في هذه الساعة ثم دفع إليه الكتاب فأخذه وفضه وقرأه وعرف معناه ، وقال : أين الذي أوصل اليك هذا الكتاب ؟ فقال : هو هذا يا خليفة الزمان . فقال : عليَّ به .

قال عمير : فلما وقفت بين يديه نظرت إليه وإذا به ذميم الوجه قبيح المنظر أفطس الأنف أسود ، بشدقه ضربة كزند البعير غليظ الشفتين ما فيها صفة من صفات الملوك بل صفاته صفات العبيد (لع) ، فقال : هذا الكتاب من عبد الله بن عمر بن الخطاب ؟ يسألني في أمر المختار بن أبي عبيدة الثقفي ؟ يسألني أن أكتب إلى حاجبي عبيد الله بن زياد الملعون بالإفراج عنه ، قال عمير فقلت : نعم ، فقال : فقل لي لا أشك أنك من شيعة الحسين عليه السلام ، فقلت أنا رجل إستأجرني عبد الله ابن عمر بن الخطاب لأحمل هذا الكتاب إليك وهذا

المئزر ، قال : ونشرت الثوب وأريته الشعر ، فلما نظر إليه إصفر وجهه وتغير لونه وهز رأسه قال : فقال له الغلام رآه أيها الخليفة ما عليك منه إنه من شيعة الحسين عليه السلام أم غيره فأنت أجبه على حاجته ، قال ثم استدعى في الوقت والحال بدواة وبياض وكتب كتاباً إلى عبيد الله بن زياد (لع) يأمره بالإفراج عن المختار وأن يحمله إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب مكرماً ويأمر بالإحسان إليه وأن يكرم الرسول ولا يسيء إليه .

ثم التفت إلى الغلام وقال : قضيت حاجتك والله لقد وددت أن تسألني عن مائتي ألف دينار من مالي ولا تسألني بالإفراج عن المختار ولكن جمعنا في قضاء هذه الحاجة أمرين :

أحدهما : قضينا حق عبد الله بن عمر .

والآخر : أنعمنا عليك وقضينا حقك .

قال عمير بن عامر : فأمر لي أن يعطني مركوباً وخمسمائة درهم وخلعة فما كان ساعة إلا وقد أحضر ما أمر به ورأيت له هيبة عظيمة ، قال عمير بن عامر الهمداني : ثم خرجت من دار يزيد (لع) في غاية الفرح والسرور ومن الحين ركبت الناقة التي أعطاني إياها يزيد وخرجت من دمشق طالباً الكوفة ، فما كان مدة قليلة إلا

وقد أشرفت على الكوفة وقصدت دار الإمارة وعبيد الله بن زياد لعنه الله قال عمير فضيقت لثامي واستأذن الحاجب لي عليه الدخول قال من يكون ؟ قال : وافد من قبل يزيد (لع) . قال عمير فضيقت اللثام بحيث لا يرى مني الحدق حتى لا يعرفني أهل الكوفة فلما دخلت عليه أسفرت عن لثامي فنظر عبيد الله بن زياد الملعون إلي فعرفني فضحك عن الغضب وقال يا ويلك فعلتها يا عمير ؟ فقال عمير : نعم فعلتها وأفعلها أيها الأمير ، قال : ثم سلمت الكتاب إلى ابن زياد وكان من عادته إذا ورد عليه كتاب من يزيد (لع) لا يقرئه إلا وهو قائم فقبل الكتاب ووضعه على رأسه وفضه فلما قرأه وفهم معناه قال سمعاً وطاعة للخليفة (لع) :

ثم أحضروا المختار في هذه الساعة مكرماً فما كان ساعة إلا وقد أحضر بين يديه قال : فلما دخل المختار ورآه ابن زياد الملعون قام له إجلالاً ثم أمر أن يحضر له طبيباً يداوي الضربة التي في وجهه وأن يدخل الحمام ويأخذ شعره وأمر أن يخلعوا عليه خلعة سنية وأمر له بناقة جيدة لأجل المسير إلى المدينة وناقة للزاد وناقة للماء وأمر له بعشرة آلاف دينار وجهزه جهازاً حسناً ، وقال له : سر إلى المدينة راشداً مهدياً ، قال : واعتذر إليه ابن

زياد الملعون كثيراً وتلطف به وكتب معه كتاباً إلى عبد الله بن عمر .

قال عمير : فخرجت أنا والمختار من دار عبيد الله بن زياد الملعون ودخلت معه إلى بيتي بالكوفة وأحضرت له غرائب الطعام وقلت كل يا سيدي فقد خلصت ولله الحمد والمنة من فاقة عظيمة ، فقال لي المختار : والله يا عمير لا يخلط ريقي لحماً حتى أقتل من بني أمية (لع) ما أوطىء به تحتي وأجلس على رؤوسهم ثم أبسط بساطاً على القتلى وأجلس أنا وأصحابي ، قال : ثم قدمت إليه النوق فركب وركبت معه ثم قال : لي شكر الله سعيك وأستودعك الله يا شيخ ، قال قلت له : والله ما أفارقك أبداً فقال لي : حباً وكرامة . قال : ثم أركبني معه في الهودج قال فأقطر الجمال وأخذ بزمام الأولى وسرنا حتى قدمنا إلى المدينة الطيبة وكان في ذلك اليوم الذي قدمنا فيه طبخ لعبد الله ابن عمر بن الخطاب هريسة وقد غرف في الأصحن وهو يقول لزوجته كلي معي وكان يحبها محبة عظيمة وهي تقول إليك عني يا بن عمر فوالله لا يخالط لحمي حتى أعرف خبر أخي المختار وانظره بين يديه ، قال وبينما هما كذلك إذ طرقنا الباب فقام عبد الله بن عمر وفتح

الباب وإذا هو بالمختار فاعتنقه وبكى وسلم كل واحد على صاحبه فدخل الدار فقامت أُخت المختار واعتنقته وسقطا جميعاً إلى الأرض مغشياً عليهما ، فلما أفاق المختار بقيت أُخته مغشياً عليها فحركوها وإذا هي قد قضت نحبها فأخذوا في تجهيزها وغسلوها وكفنوها وصلوا عليها ودفنوها ولزم عبد الله بن عمر عليها الحزن أياماً وليالٍ وكذلك المختار حزن عليها حزناً شديداً ثم أقام المختار بعد موتها أياماً في المدينة الطيبة .

قال أبو مخنف رضي الله عنه : وأما ما كان من أمر يزيد بن معاوية فإنه ركب في بعض الأيام في خاصته في عشر الآف فارس يريد الصيد والقنص فسار حتى بعد من دمشق مسير يومين فلاحت له ظبية فقال : لأصحابه لا يتبعني منك أحد ثم إنه إنطلق جواده في طلبها وجعل يطاردها من وادٍ إلى وادٍ ، حتى انتهت إلى وادٍ مهول مخوف فأسرع في طلبها فلما توسط الوادي لم ير لها خبراً ولم يعرف لها أثراً وكضه العطش فلم يجد هناك شيئاً من الماء وإذا برجل معه صحن ماء فقال يا هذا إسقني قليلاً من الماء فلما سقاه قال لو عرفت من أنا لازددت من كرامتي ، فقال له : ومن تكون . قال : أنا أمير المؤمنين يزيد بن معاوية . فقال الرجل : أنت والله

قاتل الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ياعدو الله ثم نهض ليلزمه فنفر من تحته فرمى به عن مستتر فعلقت رجله بالركاب فجعل الفرس كلما رآه خلفه نفر فلم يزل كذلك إلى أن مزقه وعجل الله بروحه إلى النار ، وكان له عشرة ندماء لا يفارقونه ولا يفارقهم ويأمنهم على حريمه وأولاده وماله فاقتحموا الطريق الذي سلك فيه ليعرفوا خبره فوجدوا الفرس وفخذه معلق بالركاب فرفعت الصيحة في المعسكرين فرجعوا إلى دمشق (هكذا) فلم يجدها فخرج إليه ملك من الملائكة الموكلين في جهنم وبيده سوط من النار فضربه على وجهه فأهلكه لعنه الله ، فلما أبطأ على أصحابه اقتحموا الطريق الذي سلكه فلم يردوه وقيل إنهم سلكوا سلكه ومضوا إلى جهنم وبئس المصير لعنهم الله جميعاً .

قال أبو مخنف (ره) وبقي العسكر متحيرين ولم يعرفوا له خبراً فرجعوا إلى دمشق فبعد اليأس منه أقاموا له العزاء ووقعت الفتنة العظيمة ، واختلف الناس بعده فبعضهم من فرح بقتل الملعون وبعضهم من حزن له (لع) فمنهم قوم رضوا بقتل الحسين فجعلوايمانعون عن أولاد يزيد بن معاوية وحرمه وماله وبعض الناس أرادوا أن يهجموا على دار الملعون ويقتلوا أصحابه

وأولاده ويهتكوا حريمه وفي ذلك الوقت كانت ولاية المصرين البصرة والكوفة بيد عبيد الله بن زياد الملعون الفاجر ، وكان يزيد الملعون أوصاه أن يقيم بالبصرة ستة أشهر وبالكوفة ستة أشهر . فلما هلك (لع) كان ابن زياد الملعون بالبصرة وكان في حبسه أربعة الآف وخمسمائة رجل من التوابين من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام وأبطاله ، وجاهدوا معه وكانوا في حبس ابن زياد الملعون من أيام معاوية ولم يكن لهم سبيل إلى نصرة الحسين عليه السلام لأنهم كانوا مقيدين مغلولين بالحبس وكانوا يُطعمون يوماً ، ويوماً لا يُطعمون وهم بالكوفة فلما جاء البريد إلى الكوفة بخبر هلال يزيد لعنه الله وكان ابن زياد الملعون في ذلك الوقت بالبصرة .

فلما شاع هلاك يزيد (لع) وثبوا على دار ابن زياد ونهبوا أمواله وخيله وقتلوا غلمانه وكسروا حبسه وأخرجوا منه الأربعة آلاف وخمسمائة رجل من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام منهم سليمان بن صرد الخزاعي وإبراهيم بن مالك الأشتر وابن صفوان ، ويحيى بن عوف وصعصعة العبدي وفيهم أبطال وشجعان فلما خرجوا من حبس إبن زياد الملعون نهبوا خزائنه وأمواله وخربوا داره ثم إن البريد خرج إلى ابن زياد لعنه الله يخبره قتل يزيد بن معاوية (لع) .

فلما سمع ابن زياد الملعون بذلك قام من وقته وساعته فرقى المنبر والناس يعلمون بهلاك يزيد وجمعهم من كل جانب ومكان فلما اجتمعوا قام قائماً على المنبر ونادى بأعلى صوته يا أهل البصرة ويا جماعة العرب إعلموا إنني قد عزمت على الرحيل إلى الشام لأجل حوائج عرضت لأمير المؤمنين (لع) ليعلم شاهدكم غائبكم إن الله اختار ما هو أهله وقد قبض يزيد بن معاوية (لع) وليعلم شاهدكم غائبكم إنني مخلف عليكم خليفتي النافذ حكمه فأطيعوه وقد عزمت على الرحيل إلى الشام والدخول إلى دمشق وكتبي متواترة إليكم وها أنا سائر فقال الناس سمعاً وطاعة ثم عرفهم الخليفة عليهم وقضى حوائجهم وأعطاهم العطايا والخلع ثم عزم على المسير ومعه الرجال والأبطال لانه قد بلغه فعل أهل الكوفة وإنهم قد أخرجوا المحبوسين الذين هم أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونزلوا على الطريق ويتربصون على ابن زيادالملعون ليأخذوه ويقتلوه ثم إن ابن زياد توجه إلى الشام فبلغ الخبر إلى أهل الكوفة فخرجوا في طلب ابن زياد الملعون .

قال أبو مخنف : [فلما صار ابن زياد في بعض الطريق أقبل إليه عمر بن الجارود ، وقال له : يا عبيد الله أصدقنا على أي وجه خرجت من البصرة . قال له :

إعلم قد بلغني أن الخليفة قد هلك وقد اتصل الخبر إلى الكوفة وقد نهبوا داري وأخرجوا المحبوسين وأنا متخوف منهم أن يكون قد علموا برحيلي من البصرة فيكمنون لي في الطريق فينتقمون مني لأنهم من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام وكانوا في حبسي فقال له عمر بن الجارود إن كان الأمر كما تقول فما لك منهم مخلص إلا بما أشير عليك فقال ابن زياد (لع) : ما الذي تشير به علي ؟ قال (لع) أشدك تحت بطن الناقة وأشد عليك القرب منفوخة خالية من الماء وأرخي عليك الجلال ، وأجعل الناقة التي أنت تحت بطنها وسط النوق فإن خالفتني هلكت لا محالة لأنهم يلحقوننا ويفتشوننا فوالله إن رأؤك لا يخلوك ساعة واحدة ، قال ابن زياد الملعون إفعل ما بدا لك ثم إن عمر بن الجارود (لع) شد إبن زياد الملعون تحت بطن ناقة قوية حتى فرغوا من حيلتهم فإذا خرج عليهم سليمان ابن صرد الخزاعي (ره) في أربعة آلاف وخمس مائة فارس فأحدقوا بعمر ابن الجارود وأصحابه ونادوا يالثارات الحسين عليه السلام فقال عمر بن الجارود مهلاً ياقوم عفاكم الله ممن تطلبون ثارات الحسين عليه السلام فقال سليمان بن صرد الخزاعي ومن معه بلغنا أن ابن زياد الملعون معكم تحملونه إلى الشام فقالوا : يا قوم اتقوا الله فما نحن بالظلماء ولا بليل

ونحن في برية قمراء فتشونا كلنا ففتشهم أصحاب سليمان فلم يـروا معهم شيئاً ولم يعلمـوا بـالحيلة فـرجعـوا عنهم وخلوا سبيلهم فقال سليمان(ره) إلى أين ترجع فـإن الذي حدثني بأن ابن زياد الملعون خرج من البصرة قاصداً إلى الشام صادق غيـر كاذب فنحن نكمن لـه في الطريق فـإذا لقيناه انتقمنا منه لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونـأخذ منـه مامعـه من مال بني أُمية (لع) ولا نلقي أحداً ممن أسـرج وألجم وشايع وبـايع على قتـل الحسين عليه السلام إلا قتلناه فقـال له أصحـابـه نحن بين يـديــك وتـــحـت أمــرك مـا فينـا من يعصيك قال ثم إن ابن الجـارود أخذ بـابن زياد الملعـون في البر الأقفر فلما بعدوا عن أصحـاب سليمان بن صـرد الخـزاعي وأمنـوا تقـدم إلى ابن زيـاد الملعـون وحله من تحت بطن الناقة وأركبه على هودجه فوهب له في الحـال عشرة آلاف دينار من المال الذي حمله وسـار حتى دخل دمشق بعد عشرين يـوماً فـوجد أهـل دمشق وسائـر الناس اجتمعـوا على أنهم يبايعـون عبد الله بن عمـر الخـطاب فدخل عبيد الله بن زياد(لـع)على مروان بن الحكم (لـع) وقـال له : لا تبـايع عبـد الله بن عمر بن الخـطاب وفيك عرق يضرب ، فقـال له مـروان بن الحكم (لع) : الـرأي عنـدك أيها الأميـر ، قال تنـادي قومـك وتجمعهم وتفتـح خـزينة ابن عمـك يزيـد(لع) وتعـطي العسكر وآخـذ لك

البيعة على جميع الناس وتكون أنت الخليفة مقام ابن عمك اللعين المردود وقد جئتك أنا بخمسين ناقة محملة ذهب وفضة وثياب فاخرجه واعط الجيش المال واخلع على كبارهم وأدعهم إلى بيعتك فإذا بايعك أهل الشام أخرج وجهز الجيش واقصد أهل العراق واكفيك أمر العراقين الكوفة والبصرة واخطب لك فيهما وأكاتب خراسان وأصفهان والحرمين وأكاتب سائر الأمصار إنك أنت الخليفة وإن الناس قد اجتمعوا على بيعتك وخلافتك وإن خطبت لك في الشامين خطبت لك في العراقين والحرمين الشريفين وخطبت لك في سائر الأمصار واخطب لك في المشرق والمغرب ، فقال مروان بن الحكم لعنه الله إفعل ما شئت لنا وأنت في هذا الأمر أولى فعند ذلك فرش ابن زياد الملعون الأنطاع وطرح عليها الأموال وأحضر قواد يزيد (لع) وخاصة وعسكره وأعطى كل واحد منهم أضعاف ما كان يعطيهم يزيد وحلفهم بالمصاحف والطلاق بأنهم لا ينقضوا بيعة مروان بن الحكم (لع) ففعلوا ذلك ثم إن مروان بن الحكم انتقل من داره إلى دار يزيد الملعون فعند ذلك جهز مروان بن الحكم لإبن زياد الملعون ثلاثمائة ألف فارس من أهل الشام ومن أهل العراق وكتب إلى خراسان وأصفهان وإلى سائر الأمصار والبلدان ، أن الخليفة

مـروان بن الحكم عقد لابن زيـاد راية عـلى ثلاثـمائة ألف فـارس وأنفذه إلى العراق من دمشق لقتال من يضاده في الخلافة ثم سار بالعسكر من الشام يـريد العـراق فلما خـرجوا من الشام مسيرة يـومين نزل على قـرية هنـاك وكان ابن زيـاد الملعون قبل نزوله على القرية قد وجه غـلاماً من غلمـانه ليقيم الـزاد والعلوفة والنـزول للعسكر فلمـا نـزل بـذلـك الموضع عقـد لبعض حجابـه راية وضم إليـه مائـة فارس وأمره أن يكون متقدماً على العسكـر وقال لـه بلغنا أن في طـريقنا أربعـة آلاف وخمسمائـة من التوابين الـذين تابـوا على يــد علي بن أبي طـالب عليه السلام ولا بــد أن يتلقــوك ويطلبون ثأر الحسين عليه السلام فإن لقيتهم لا تبق منهم أحـداً وها أنا في أثرك فارتحل القائد بمن معـه في مقدمـة ابن زياد وكان سليمـان بن صرد الخـزاعي وأصحابـه ينتظرون قـدوم ابن زياد وكـانوا كـل من يـرونـه من بني أميـة ومن أنســاب يزيـد وابن زياد وكـل من شايـع وبايـع على قتل الحسين عليه السلام يقتلونـه فبينما هم كـذلـك وإذا قـد طلعت عليهم رايات العسكر مع القائد الذي قدمه ابن زيـاد وهم مائة ألف فـارس فلما نـظر إليهم سليمان وأصحـابه هللوا وكبروا ثم أقبل سليمان على أصحابه وقال يا إخواني هذا عسكـر ابن زياد قـد أقبـل ومعهم رايـات مكتـوب عليهـا مروان بن الحكم وابن زياد مضى إلى دمشق وعقـد البيعة

لمروان بن الحكم وعضده ونصره وعقد الرايات على حربكم فاحملوا بارك الله فيكم على أعداء الله وأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فلما سمعوا ذلك استووا على ظهور خيولهم وقوموا الأسنة وأطلقوا الأعنة ونادوا يا لثارات الحسين عليه السلام وحملوا حملة رجل واحد فلما رأوهم أصحاب ابن زياد حملوا أيضاً حملة رجل واحد واقتتلوا قتالا شديداً وصبر سليمان وأصحابه على الشدائد حتى أظلم الليل وحال بين الفريقين وأصحاب ابن زياد ينادون بالبيعة لمروان بن الحكم وأصحاب سليمان ينادون يا لثارات الحسين عليه السلام .

قال أبو مخنف (ره) : فافترق عن بعضهم بعض وقد قتل من أصحاب ابن زياد إثنى عشر ألف فارس وقتل من أصحاب سليمان(ره) ألف فارس قال وباتا تلك الليلة وقد كلت سواعدهم من الطعن والضرب وخيولهم من التعب وكثرة الجراح فلما أقبل الصباح أذن مؤذن سليمان وصلى بأصحابه وبعد الفراغ من الصلاة إستووا على ظهور خيولهم ونادوا يالثارات الحسين عليه السلام وحملوا على القوم ولم يزالوا في كر وفر وضرب وطعن حتى جنهم الليل وافترق عن بعضهم بعض وقد قتل من أصحاب ابن زياد الملعون ألف فارس ، وقد نزل أصحاب سليمان (ره) في

موضع قوم ابن زياد وملكوا رحالهم وأموالهم وانهزموا أصحاب ابن زياد الملعون فلحقهم ابن زياد بعسكره على مسير يومين فلما رآهم منهزمين عظم عليه ذلك وقال لهم يا غلف القلوب ويا جلفان الرجال أنتم مائة الف فارس تنهزمون عن أربعة آلاف وخمسمائة فارس ويقتلون منكم أوبعين الف فارس فسيروا الآن بين يدي فرجعوا معه طالبين سليمان (ره) وقد صار عسكر ابن زياد مائتي ألف فارس وستين ألف فارس وساروا وسار ابن زياد الملعون مع قومه في اليوم الثالث وقد بقي سليمان في ثلاثة الآف فارس حتى أشرفوا على أصحاب سليمان .

فلما رآهم سليمان (ره) أقبل يحرض أصحابه ويقول : جاهدوا بارك الله فيكم في سبيل الله تعالى فلما رآهم ابن زياد حمل عليهم هو وأصحابه حملة رجل واحد واقتتلوا قتالاً شديداً ولم يزل كذلك حتى أظلم عليهم الليل وحال بين الفريقين وافترق القوم من المعركة وقد بقي من أصحاب سليمان ألف فارس وقالوا أيها الأمير أنت تعلم إننا كنا أربعة آلاف وخمسمائة فارس وبقينا ألف فارس وهذا ابن زياد الملعون في مائتين وأربعين ألف فارس فإن أصبحنا نقاتلهم لم يبق منا أحد والصواب إنا نعبر الفرات ونقطع الجسر ونسير إلى الكوفة

ونـنـادي يـا لثـارات الحسين عليه السلام ولا نـلاقي عـدو الله ورسوله . فقال سليمان : من أراد منكم يصير إلى الموت ويكره الحياة وإلا ينصرف حيث شاء فإن غرضي أن ألقى مولاي الحسين عليه السلام وهو عني راضٍ قال فعند ذلك قال أصحابه كلهم مـا لنا في الـدنيا من حـاجة ولا نـطلب إلا رضاء الله ورسولـه وأهل بيتـه صلى الله عليه وآله وسلم وها نحن بين يـديك ثم إنهم باتوا تلك الليلة وقد رغبت نفوسهم في القتل .

فلما أصبحوا إستووا على ظهور خيـولهم ولا يزالـون مقبلين غير مدبرين على هذا الأمر سبعة أيام فلما كان في اليـوم الثامن أصبـح سليمان (ره) وقـد بقي من أصحـابـه سبعة وعشرون رجلاً وقد أُثخنوا بالجـراح ، وحجزوا عن القتال وفي جسد كل واحد منهم مائة طعنـة ومائـة ضربـة وسهام نافذة وقد أحصى سليمان ما وصل إلى جسده مائة وعشـرين طعنة وضـربـة غيـر السهـام فعنـد ذلـك عبـروا الفرات وقطعوا الجسر ونزلوا عن خيولهم وهم لا يطيقـون الكـلام ولا يستطيعـون النهوض من التعب وكثـرة الجراح وثقـل الحديـد وخيولهم قـريبة الهـلاك من الجوع وكثـرة العطش وكثرة الطرد فاضطجعوا على ظهورهم وهم يتلون القرآن ويكبرون الله ويصلون على محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قـال فعند ذلـك قالـوا أيها الأميـر أنت تعلم مـا كنـا

وصرنا إليه من العدة اليسيرة والضعف بعد القوة فهل لك أن ترجع بنا ونجمع العساكر ونكثر من السلاح ونرجع إليهم فقال لهم يا قوم لا أستطيع أن أترك عدو الله ورسوله خلفي وأولي عنهم بل أُقاتلهم ، فألقى الله عز وجل ورسوله وهم راضين عني ، فلما سمعوا عنه ولم يجيبوه ثم ناموا ونام سليمان (ره) قال فبينما هو نائم وإذا بفاطمة الزهراء عليها السلام وخديجة الكبرى وقد أعطتاه إناء فيه ماء وقاليا له : أفض هذا الماء على وجهك وجسدك وعجل إلينا بالقدوم ، قال سليمان : ثم انتبهت من نومي وإذا بقدح تحت رأسي مملوء من الماء فافضته على جسدي وإذا قد التحمت جراحي ثم اشتغلت بلبس ثيابي فلم أجد القدح ، فقلت الله أكبر قال فنبهت أصحابي وقالوا ما الخبر أيها الأمير قال فقصصت عليهم الرؤيا .

وفي رواية أُخرى : لما رقد سليمان كأنه في روضة خضراء وفيها أنهار وأشجار وأطيار كأنه قد أُوتي به إلى قصر من الذهب والفضة وعليه ستور من نور فتقدم سليمان إلى الباب ودفعة ودخل القصر وإذا بإمرأة قد خرجت من القصر وهي مخمرة بخمار من حرير وعليها حلل من سندس وإستبرق . قال فلما رآها كاد أن ينصرع فضحكت في وجهه وقالت شكراً لله تعالى لك سعيك يا

سليمان ولإخوانك فإنكم معنا يوم القيامة وكل من قتل في محبتنا أو دمعت عيناه رحمة لنا فإنه يوم القيامة معنا ، قال سليمان فعند ذلك قلت لها : يا مولاتي من أنتي ؟ فقالت : أنا خديجة الكبرى ، وهذه إبنتي فاطمة الزهراء وهذان ولداها الحسن والحسين عليهم السلام معها وهم يقولون لك أبشر فأنت عندنا الزوال ثم ناولتني إناء فيه ماء ، فانتبه سليمان فرأى عند رأسه إناء ماء فأفاضه على جسده وترك القدح إلى جانبه واشتغل بلبس ثيابه فغاب عنه القدح فتعجب من ذلك وقال الله أكبر لا إله إلا الله

محمد رسول الله علي ولي الله ، فانتبه أصحابه لتكبيره وقالوا له ما الخبر أيها الأمير ؟ فقال لهم : هذه خديجة الكبرى تخبرني إني وأنتم غداً عندها ونجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وناولتني قدحاً فيه ماء وأمرتني أن أفيضه على جسدي فافضته وغاب عني وها أنا لا أحس بألم الجراح ولم يزل سليمان راكعاً وساجداً إلى أن طلع الفجر ثم صلى بأصحابه وأمرهم أن يعبروا الفرات فشدوا على خيولهم وحملوا على ابن زياد وقاتلوا إلى قرب الزوال فداروا عليهم القوم من كل جانب فقتلوهم عن آخرهم رحمهم الله ثم أمر ابن زياد الملعون أن يقطعوا رؤوسهم ويحملوها إلى دمشق إلى مروان بن الحكم لعنه الله

ويخبروه كيف جرى له معهم ولبث ابن زياد يرتقب الجواب .

قال أبو مخنف : وكان المختار قد ارتحل من المدينة إلى الكوفة ونزل في دار إبراهيم بن مالك الأشتر ومعه خاتم من طين وهو يزعم أنه خاتم محمد بن الحنفية ، وقال يرحمك الله هذا خاتم الإمام محمد بن الحنفية قد أنفذني إليك وهو يأمرك أن تجمع له أهل الكوفة وتأخذ له البيعة عليهم وقد ولاني الأمر وقد كان محمد بن الحنفية موكوعاً لأنه أهدى إلى أخيه الحسين عليه السلام درع من نسج داود على نبينا وعليه السلام فلبسه ففضل عنه ذراع وأربعة أصابع فجمع محمد بن الحنفية ما فضل منه وفركه بيده فقطعه فأصابته نظرة فصارت أنامله تجري دماً ومدة ولهذا لم يخرج مع الحسين عليه السلام يوم كربلاء لأنه ما كان يقدر أن يقبض قائم سيف ولا كعب رمح ، قال فلما سمع إبراهيم كلام المختار قال له : يا أخي إني لك سامع مطيع ولكن غداً أجمع أهل الكوفه وأبلغهم ما تقول وأسمع ما يقولون من الجواب فلما كان الغد جمع إبراهيم (رض) أهل الكوفة وقال لهم أيها الناس هذا المختار قد ورد من المدينة ومعه خاتم من طين ويذكر إنه خاتم محمد بن الحنفية

وهو يأمركم بالبيعة لـه فما تقولون قال فلما سمعوا هذا الكلام قالو يا أبا إسحاق أنبايع بخاتم من طين بل نرسل من مشايخنا خمسين شيخاً إلى محمد بن الحنفية فإن كان هذا صحيحاً فالسمع والطاعة نبايعه ولم نزل بين يديه حتى تقتفى عن آخرنا وإن كان غير ذلك فلسنا نبايع بخاتم من طين ، فقال : افعلوا ذلك ، قال فجمعوا من خيارهم خمسين شيخاً ووجهوهم إلى المدينة فلما وصلوا استأذنوا بالدخول على محمد بن الحنفية فأذن لهم ، فدخلوا قال فسلموا عليه فرد عليهم السلام فقالوا يا مولانا يا بن أمير المؤمنين عليه السلام قد قدم علينا المختار ومعه خاتم من طين وهو يزعم خاتمك ويدعونا إلى البيعة ليأخذ بثأر الحسين عليه السلام فقال لهم يا قوم والله ما أنفذت إليكم خاتم من طين ولا غيره ولكن نحب حباً وولايتنا عليكم رجلًا ذمياً كان أو زنجياً وهو يطلب بثأر الحسين عليه السلام والذبّ عن حريمه وجب عليكم أن تنصروه وتجاهدوا بين يديه ولكن الآن هذا خاتمي إليه وليكم وقد وليته عليكم وأن تكونوا له تابعين وتنصروه فقالوا بأجمعهم السمع والطاعة لله ولك يا بن أمير المؤمنين عليه السلام ثم إنهم أخذوا الخاتم وتوجهوا من وقتهم وساعتهم طالبين الكوفة فلما وصلوا القادسية سمع المختار برجوعهم من المدينة فدعى بعبد يقال له سطيح

وقال له إنطلق إلى القادسية واستعلم بخبر أهل الكوفة فإن جاؤا بولايتي فأنت حر لوجه الله تعالى وإن كان غير ذلك فلا ترجع إلي فأنت ميشوم على نفسك فتوجه العبد إلى القادسية فوجدهم قد جمعوا أهل القادسية يأخذون منهم البيعة للمختار (رض) فرجع العبد إلى المختار فأخبره بذلك ففرح المختار بذلك فرحاً شديداً فاعتنق العبد ثم وردت المشايخ إلى المختار وسلموه الخاتم ونادى مناديهم أهل الكوفة بالطاعة له فأطاعوه جميعهم .

قال أبو مخنف : ثم إن المختار عقد لإبراهيم بن مالك الاشتر راية وضم إليه أربعة وعشرين الف فارس وأهم بالسير إلى أعمال الشام وملاقات عدو الله وعدو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبيد الله بن زياد الملعون فارتحل إبراهيم بن مالك الأشتر من الكوفة وجد في السير حتى نزل بالأنبار فعبر الجيش عليها فخرج أهل الكوفة . وقالوا ما هذا الجيش ؟ قالوا أصحاب الحسين عليه السلام فاخرجوا إليهم الزاد والعلوفة فأبى أصحاب إبراهيم أن يأخذوا منه شيئاً إلا بالثمن الوافر ورحل منها ونزل النخل الأسود وهو الكثف الأحمر على يمين الطريق فأقام هناك يومين ورحل منها ونزل على دير اللطيف الذي عند الطريق فأقام ساعة من

النهار وحل ونزل على حصون بني جعفر ثم سار إلى تكريت وهي يومئذٍ قلعة منيعة فغلق أهل تكريت الأبواب وقالوا لمن هذا الجيش فقالوا نحن أصحاب الحسين عليه السلام فعند ذلك أعلنوا بالبكاء والنحيب ونادوا بأجمعهم وامحمداه واعلياه واحسيناه ، ثم إنهم أخرجوا اليهم الزاد والعلوفة فلم يقبلوا منهم شيئاً إلا بوافر الثمن ، قال: واجتمع مشايخ البلد وتوجهوا إلى إبراهيم بن مالك الأشتر وقالوا له أيها الأمير نحن نحب أن يكون لنا نصيب وحظ في هذا الأمر ونشارككم في الثواب في ثأر الحسين عليه السلام ونجمع لكم أموالنا عشرة آلاف دينار ونسألك أن تقبلها منا وتنفقها على العسكر فأبى إبراهيم أن يقبل شيئاً ثم إرتحل وسار ثلاثين فرسخاً في ثلاثة أيام حتى الموصل فخرج إليهم من الموصل ألف فارس ضارب بالسيف واشهروا سيوفهم في وجوههم وقالوا لمن الجيش ، فقالوا : نحن أصحاب الحسين عليه السلام فلما سمعوا ذلك أعلنوا بالبكاء والنحيب ومزقوا ثيابهم وحثوا التراب على وجوههم وصاحوا واحسيناه وأقاموا مأتماً عظيماً قدر عشرة أيام وأخرجوا إلى إبراهيم الزاد والعلوفة فأبى أن يأخذ منهم شيئاً إلا بوافر الثمن وكان قد نزل بقرب دير يقال له دير العلاء بمقدار ميلين من الموصل فبينما إبراهيم جالس في خيمته وإذا

قد أقبلت إليه عجوز تجر أذيالها وهي رثة الأطمار وتنادي في باب الخيمة أنا مستغيثة بالله تعالى وبالأمير وبأصحاب الحسين عليه السلام ليسمع كلامي ويرد جوابي فأنا منتظرة لقدومه من يوم خرج من الكوفة فظن إبراهيم إنها تطلب شيئاً ، فقال لعبده والله ما أملك شيئاً غير ألف درهم قد بقيت من نفقتي فأقسمها نصفين وأعط العجوز نصفاً وخل نصفاً فأخذها العبد وخرج إلى العجوز فقالت العجوز : ما هذا ؟ فقال : هذه عطية الأمير ، قالت العجوز : ما أنا محتاجة في هذه بل أريد أن أكلم الأمير كلمة واحدة فيها وافر الحظ فرجع العبد إلى إبراهيم وأعلمه بذلك ، فقال إبراهيم إدفع إليها بقية الدراهم لا تكون مستقلة للعطية فخرج العبد إليها ببقية النفقة وقال لها أيها العجوز خذي هذه الدراهم وأعذري الأمير فقالت ما أريد مالاً ، أُريد أن أكلم الأمير بحاجة له فيها حظ عظيم فرجع العبد إلى الأمير وقال أيها الأمير هذه المرأة ما تطلب شيئاً بل لها عندك حاجة فقال ادخلها فدخلت عليه فجلست بين يديه فسلمت عليه وإذا هي إمرأة طائعة للدين عليها ثياب من الصوف وعليها سيماء أهل الخير فقال لها : قولي يرحمك الله ، فقالت كنت أنا وبعلي ذات يوم جالسين في دويرة لنا في صحن الدار وبلدنا هذا كثير السيل والأمطار وبعلي حطاب كل يوم بدرهم

وينفق علينا بعضه ويتصدق ببعضه على فقراء المسلمين فبينما نحن جلوس وقد وقع المطر فتعوق زوجي من الخروج إلى الحطب فانكشف لنا في دارنا بلاطة بيضاء كأنها كافورة طولها ذراع وعرضها ذراع ، فقلت لزوجي : خذ هذه وبعها واشتري لنا قوتاً ، فقلعها فوجدنا تحتها باب حديد مطبق بقفل عظيم ففتحناه وإذا هو بسرداب مظلم فنزلنا إليه بمصباح وإذا مملوء ذهباً لا يعلم عددها إلا الله فأخذنا منها ديناراً واحداً وأطبقناه بالبلاطة وغطيناه بالتراب ومضى بعلي إلى السوق وصرف الدينار فأخذ بنصفه لحما وخبزاً ورد الباقي وجلسنا نتغذى فمد بعلي يده وأخذ لقمة ووضعها في فمه فغص بها ومات من وقته وساعته قبل أن يبلغ اللقمة فامتنعت أنا من الأكل وتصدقت بباقي الطعام واليوم لي ثلاثة أشهر يهتف بي هاتف وهو يقول يا هذه المرأة إن هذا المال لمن يأخذ بثأر الحسين عليه السلام وقد أتيتك أُخبرك فإن شئت أن تسر معي حتى أوقفك على الكنز فافعل وإن أردت أن تنفذ معي أحداً تثق به فافعل .

فلما سمع إبراهيم (ره) كلام العجوز ركب هو وعشرة رجال من خاصته وسار مع العجوز حتى أوقفتهم على الباب ففتحوا السرداب ونزلوا إليه بمصباح وإذا فيه مال لا يكون أكثر منه فاحْضَر الأنطاع وبسط عليها الأموال

وكـان مع إبـراهيم أربعة وعشـرون ألف فارس فـدفع إلى كل واحد منهم ألف دينار وبقي المال على حاله كـأن لم يؤخذ منه شيء ثم إنـه حمل منـه مائـة ناقـة ووجهها إلى المختار في الكوفة ومعهخـمسمـأة فارس يحفظونه وجعل على الكنـز خمسين رجـلاً يحفـظونـه وكتب كتـابـاً إلى المختـار يعلمه بـالكنز وسـار إبـراهيم حتى نـزل نصيبين وكان فيها رجـل من بني شيبان يقـال له حنـظلة بن مغاور الثعلبي ، وكـان له عشـرة أولاد فكتب إليـه إبـراهيم (ره) كتابا يقول فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم .

من إبـراهيم بن مالـك الأشتر إلى الأميـر حنـظلة بن مغاور الثعلبي .

أما بعد :

فـإنـك تعلم مـا جـرى على الحسين عليه السلام ونحن طالبون بثاره ممن ظلمه من أعداء الله تعالى ورسـوله نحن وإيـاكم على شهـادة أن لا إلـه إلا الله محمـداً رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذا كتابي إليك أتساعدني على الأخذ بثأرهم وتقيم لنا المعابر حتى نعبر عليهـا وتقيم لنا الـزاد والعلوفة بـأوفر ثمن والسـلام ونحن نسـألـك أن تكـون تؤمن بـالله

وبرسولـه محمد ﷺ واليـوم الآخر أن تـأذن لنا بـالعبور إلى بلدك نجتاز به من دون أذية ولا نظلم أحداً من الناس وندخل من باب ونخرج من باب آخر غير قاطنين فتكسب الأجـر فيما تفعله ووجـه الكتاب مـع الرسـول إلى حنظلة فوجه الـرسول حتى أتى إلى بـاب حنظلة وكـان في ذلك الوقت وجه إبن زيـاد قاصـداً إلى حنظلة وكتـاباً يقـول فيه نـريد أن تقيم الـزاد والعلوفة لاربـع مائـة ألف فارس من أصحاب مروان فنفسك مرتهنة رهاناً واصل إليـك فاحـذر المخالفة .

قـال أبو مخنف (رض) فـإلتقى الرسـولان على باب حنظلة فأخبر حنظلة غلمانه أن قد ورد رسولان [أحدهما] رسول إبراهيم بن مالك الأشتر. [والآخر] يزعم أنه رسـول ابن زياد فقال علي بهمـا جميعاً فـأحضروهمـا جميعاً بين يديه وهو في دست مملكته والغلمان والحجاب عن يمينه وشماله فلما وقفا بين يديه سلما عليه فـرد عليهما السـلام وقـال أيكما رسـول إبـراهيم من أصحـاب الحسين عليه السلام فقـال رسول إبـراهيم أنا يـا مولاي فقـال لـه : أُدنُ منـي يرحمك الله ، فدنا منه فأجلسه على سريره وأخذ الكتاب منـه وقبله وتركـه على عيونـه فلما فضـه وقرأه بكى بكـاء عالياً فلما قرأ باقي الكتاب قال السمع والطاعة أنا أول من

يجاهد بين يديه وأطلب بثأر الحسين عليه السلام ثم التفت إلى رسـول ابن زياد الملعـون وقال لـه : فيمـا جئت بـه أنت فنـاوله الكتـاب فإذا وفيـه الله نفسك مـرتهنة بـإقامـة الزاد والعلوفة لأربع مـائة ألف فـارس ، فأخـذ الكتاب حنـظلة ومزقه ، وقال لأصحابه عليَّ بالسيف ونطع الدم فاحضروا ذلك فضرب رقبـة رسول ابن زيـاد الملعون ثم خلع على رسول إبراهيم وطوقه بطوق من الذهب وأركبـه سابقـاً من الخيـل وقال لـه : إنطلق إلى صـاحبك وأخبـر بمـا رأيت وإنني به فقد أقمت له الزاد والعلوفة وإن بلدي موطىء له وأقرأه عني السلام وأولادي وقومي بين يديه وقل لـه يجد في لقاء عدو الله ورسـوله ، فـرجع الـرسول إلى إبـراهيم فنـاوله الكتـاب وحدثـه بما جـرى من فعل حنـظلة ففرح إبـراهيم بذلـك وسار حتى نـزل نصيبين فضربت البـوقات وتلقـاهم أول نصيبين الرجـال منهم والمشايـخ ونسـوانهم نـاشرات شعـورهن ينادون واسيـداه واحسينـاه وأصحـاب إبراهيم ينادون يالثارات الحسين عليه السلام وأطلع لهم حنظلة الهـدايا والعلوفـة فقال إبـراهيم وحق مـولاي الحسين مـا آخذ شيئاً إلا بـوافر الثمن وكلوا إذا سـاموا الشيء درهمـا يـأخذونـه منهم بدرهمين والنـاس يـدعـون لهم بـالنصـرة والظفر فأقامـوا في نصيبين يومين ثم رحلوا منهـا يطلبـون قلعة ماردين وخرج معهم حنظلة وأولاده وأصحابه ونـزلوا

على قلعة ماردين فنظروا فإذا حنظلة وكانت قلعة ماردين لحنظلة وأصحابه فيها وكان إبراهيم في جانب حنظلة فتقدم وقبَّل الأرض ما بين يديه فقال له حنظلة : أين أبوك قال إرجع وادع لنا أباك فرجع الغلام وأخبر أباه بذلك فنزل من القلعة وأتى إلى حنظلة وسلم عليهم جميعاً فحدثه حنظلة بحديث إبراهيم فقال له : أيها الأمير لو كنت سبقت ساعة سلمت إليك ابن زياد الملعون قبضاً باليد ، فقال له : وكيف ذلك يا مبارك الطلعة ؟ قال له : إعلم إن له عندي شيئاً وجاءني اليوم ومعه حرمه وأولاده ومعه أربعون بغلاً موقورة مالاًفأودعها عندي في القلعة ، قال له حنظلة وإبراهيم : بشرك الله بالخير وأين حريمه وأولاده ؟ قال : عندي ، قال له إحضرهم فقال سمعاً وطاعة ثم مضى إلى القلعة وأحضر أولاد ابن زياد الملعون وهم أربعة أولاد ذكوراً وثلاثمائة جارية وأربعون بغلاً موقورة مالاً وصناديق مملوءة من قباطي مصر وخز وديباج، فلما أحضروا بين يدي إبراهيم (رض) قال إبراهيم : أيها الناس إن ابن زياد الملعون قتل الحسين عليه السلام وله من العمر ستين سنة وقتل يحيى بن علي وله ثمان سنين وقتل عون بن علي وله من العمر أربعة عشر سنة وقتل العباس وله من العمر ثلاثون سنة وقتل فلاناً وفلاناً حتى عدد ثمانية عشر من أهل البيت ثم

قال وقد هتك حرم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسباهم على الجمال عرايا بغير وطىء فوالله لا أبقيت من بني أمية ما أقدر عليه وجرد سيفه وجرد أصاحبه سيوفهم ووضعوها في أولاد ابن زياد وحرمه فقتلوهم عن آخرهم ، ثم أقبل أصحابه على القلعة على إبراهيم وقال له أيها الأمير أنا أوقع ابن زياد الملعون بيدك بلا طعنة ولا ضربة ، فقال له إبراهيم : وكيف ذلك أيها المبارك الطلعة ! قال : أمضي إليه أنا وأولادي وأنت معنا وأبعث واحداً من أولادي يقول له أبي يقرأك السلام ويقول لك إن حنظلة قد مضى وصار من حزب إبراهيم بن مالك الأشتر وقد بايعه وحلف له أن يجاهد بين يديه وأنت تعلم إن القلعة له وملكونا من قبله ولا آمن هذا الرجل فينزل على القلعة ويصل إليه الخبر أن أولادك وحرمك عندي فيريد ذلك مني ولا يمكنني أن أدفعه وأريد أن تخرج إليَّ وحدك ولا يكون معك أحد من أصحابك حتى أشاورك فإني لا آمن أن يكون لهم في عسكرك عين علينا فيعلمه بذلك ، فإذا سمع ابن زياد الملعون بذلك يأتي إليَّ لأنه يأمنني على نفسه وأولاده وماله فإذا جاء الملعون أدخله وأجلسه بيني وبينك وبين أولادي واقبض أنت قائم سيفك واضرب عنقه وأزحف بعسكرك إلى عسكره فإنهم لا يجتمع منهم إثنان في موضع واحد ، فقال إبراهيم : نعم ما أشرت به وبيض

الله وجهك ولكني أُشير عليك برأي ، فقال : هات ، قال بلغني إن معهم سفن نحـاس على ظهـور الإبـل لأجـل العبـور والـرأي والصـواب أن أجيء معـك كمـا ذكـرت وتكـون أصحابي كـامنين عن يمين المعبر بخمسـة آلاف فـارس وفي المعبـر بخمسـة آلاف فـارس وأكـون ببـاقي الجيش فـإن استـولى لي قتله في الخيمـة كما ذكـرت فالحمـد لله رب العالمين . وإن يتـولى قتلـه جئت معـك إلى أن أقف على المعبـر لأن السفن الـذي معـه صغـار لايقدر أن يعبر عليها غير فارس بعد فارس وأنا أكـون إلى جنبـك فـإنه يحسبني بعض أولادك فـإذا رأيته أرميـه عن فـرسه وأضـرب عنقه ، فقـال : إفعل مـا بـدا لـك فـإني وأولادي تبع لك لكن أُوصي أصحابك أن يكونوا بـالقرب منـك حتى يسمعوا صـوتك ، فجمـع إبـراهيم أصحـابـه وأوصـاهم أن يكونـوا حـول المعبـر وأن لا يتبعـك عـدواً ويكونوا لهم طلائع تقف حول المعبر يعـرفونهم مـا يكون ففعلوا ذلـك وسار إبـراهيم (ره) وصاحب حنـظلة وتبعهم العسكـر فلما صـار بالقـرب من عسكـر ابن زيـاد ضـرب خيمته وجلس فيها صاحب حنظلة وإبراهيم وأرسل واحداً من أولاده إلى ابن زياد الملعون يقول له إقبل إلي وحدك ولا يعلم بـك أحد من أصحـابك فـإن جيش إبراهيم قـد نزلوا نصيبين وقد أقام حنظلة له الـزاد والعلوفة وحلف أن

يجـاهد بين يـديه وأنـا خائف أن يعلم بحـرمـك وأولادك عندي فبادر إليَّ وحـدك لأخلوا أنا وأنت في مشـورة فإني أخـاف أن يكـون لهم في عسكـرك عين فمضى إبنـه إلى ابن زيـاد الملعون فـأبلغه كـلام أبيـه ، قـال : فلمـا سمـع ابـن زياد كلامه نهض فزعاً مرعوباً وركب فرسه وسـار في وقته وساعته مـع الغلام قـاصداً للخيمـة وبين يديـه عبد ومعـه شمعة كقامة الرجل وكان بين الخيمة وبين المعبر أقل من ميل فلما رآه صاحب حنظلة قام إليه وقبـل يديـه وكذلـك إبراهيم قبل يديه فجعل ابن زياد الملعون يطيل النظر إلى إبـراهيم (ره) وصاحب القلعـة يشغله بالحـديث عنه قـال إبراهيم فأردت أقوم فافتكـرت في ضيق الخيمة وقلت في نفسي إذا جـردت سيفي لم يمكنني أن أفتح بـاعي لصغر الخيمة ولا أدري أتقع الضربة له في مقتله أم لا وهـو مع ذلـك شجاع ، ورأيت سيفـه على فخـذه مجـرداً ولا آمن يصيح بعسكره فيلزموني بعض أصحابه فيثور عسكره وهم أربعمـائة آلاف فـارس قال فجعـل صاحب القلعـة يشغله بـالحـديث حتى يقـوم إليـه وإبـراهيم مـطرق رأسـه إلى الأرض ، فقال ابن زياد الملعون لصاحب حنظلة إذا كان الأمر كما ذكـرت فلأي شيء أقعـد أنا أقـوم هذه السـاعة وآمـر أصحابي بضـرب البوقـات للرحيل وألحقـه قبل أن تـروح برجـل ، فقال صـاحب القلعة : هـذا الـرأي أيهـا

الأمير ، قال فنهض ابن زياد وقال لصاحب القلعة كن أنت وأولادك على المعبر لنحدك أنا وأنت ثم خرج من الخيمة وقدم له العبد فرسه وركب إلى عسكره ثم أقبل صاحب القلعة على إبراهيم وقال والله ما شبهتك إلا مسلم بن عقيل تمكن في دار هاني بن عروه ولم يقتله وكان ابن زياد هو القاتل لمسلم بن عقيل (ره) ، فقال له إبراهيم بن مالك الأشتر : يرحمك الله إني قد إفتكرت في جلوسه وسيفه على ركبتيه وصغر الخيمة وقرب عسكره منه فخفت أن يصيح فيسمعونه أصحابه ورأيت أن أقتله في غير هذا الموضع أصلح وأنا أرجو من الله تعالى أن لا يفلت من يدي قال فمضى ابن زياد الملعون إلى عسكره سريعاً وأقبل صاحب القلعة وأولادهم وإبراهيم فوقفوا على المعبر والجيش يعبر فوجاً فوجاً يسرعون في المعبر على تلك السفن في الناس وفوقها ألواح الخشب حتى عبر منهم مائة ألف فارس ثم أقبل ابن زياد الملعون على بغل أشهب وعلى رأسه قلنسوة من الديباج المدبر محشاً بريش النعامة وريش العصفور الهندي وعلى دائر القبة ديباج بمنطقه من الذهب مرصعة بالدر والجوهر بين حمرة الذهب مع بياض الدر مثل مشعل النار ودوره ثلاثون شمعة في أنوار الذهب بأيدي الخدم السقلانية الرومية وعن يمينه شمعتان من العنبر وعن شماله كذلك

وعليه برنس من الوشى وقلنسوة من الذهب مرصعة باللؤلؤ الرطب وكان في زي عظيم ، قال : فتمكن إبراهيم من قائم سيفه وهو ملتثم فقال له بعض الخدم تنح عن الطريق حتى يعبر الأمير ، فقال له إبراهيم : لي إلى الأمير حاجة ، فلما سار ابن زياد قريباً من إبراهيم نادى إبراهيم : أنا مستجير بالله وبالأمير فأخرج ابن زياد رأسه لينظر من يستغيث فمد يده إبراهيم وجذبه ورماه إلى الأرض فوقع على وجهه ، وصاح يالثارات الحسين عليه السلام وجاوبته الكماء وخرج كمين عن اليمين وكمين عن الشمال وكمين عن القلب وضربوهم بالسيوف وجرد صاحب القلعة وأولاده وأصحابه سيوفهم ووضعوها في أصحاب ابن زياد الملعون وهم يقولون يالثارات الحسين عليه السلام ولم يزل السيف يعمل فيهم إلى طلوع الفجر ، فلما أصبحو عدوا القتلى وإذا قتل من أصحاب ابن زياد ثمانون ألف فارس وكان إبراهيم بن مالك الأشتر (ره) قد كتف ابن زياد وثيقاً وسلمه إلى من يثق به من أصحابه ووكل به مائتي فارس فحملوه وشدوه بالطول وأوثقوه بالحبال القنب والرجال محدقون به وكل منهم يلعنه ويضربه في وجهه وينادون يا لثارات الحسين عليه السلام قال : فلما أسفر الصباح طرح إبراهيم (ره) الأنطاع والأديم الطائفي ومن فوقها ستور الديباج ونزل هو

وأصحابه وكان معهم ألف أسير وقد أصبغ أصحاب إبراهيم ثيابهم بالدم وصلوا صلاة الصبح ، ثم أمر إبراهيم (ره) بإحضار الأسارى فأحضروا بين يديه فأول من قدم ابن زياد الملعون وهو مكتوف ، فشدوا رجليه فقال إبراهيم بن مالك الأشتر (ره) : إضرموا ناراً فجذب إبراهيم خنجره وجعل يشرح من لحم ابن زياد الملعون فيشوي منه على نصف الصاج ويطعمه وكلما امتنع ابن زياد من أكل لحمه ينخسه بالخنجر حتى أكل لحم أفخاذه ، فلما علم إنه يموت وضع الخنجر على حلقه فذبحه من الأذن إلى الأذن وإبراهيم (رح) ينادي يا لثارات الحسين عليه السلام ثم أحرق جثته بالنار .

وبعده قدم إليه شبث بن ربعي (لع) وخولي بن يزيد الأصبحي وعمرو بن الحجاج وسنان بن أنس النخعي لعنهم الله تعالىٰ وهم الذين تولوا حرب الحسين عليه السلام وهتك حريمه ونهب ماله فأول ما بدأ لسنان الملعون وقال يا ويلك اصدقني ما فعلت يوم الطف ؟ قال : ما فعلت شيئاً ، غير إني أخذت تكة الحسين عليه السلام من سرواله فبكى إبراهيم عند ذلك فجعل يشرح لحم أفخاذه ويشويها على نصف نضاجها ويطعمه إياه وكلما امتنع من الأكل ينخزه بالخنجر فلما أشرف على الموت ذبحه

وأحـرق جثته (لـع) وبعده قـدمـوا إليـه شبث بن ربعي ، فقـال له إبراهيم : اصدقني مـا فعلت يوم الـطف ؟ قـال : ضربت وجهه الشريف فقال له يا ويلك يا ويلك يا ملعـون مـا خفت من الله تعالى ولا من جـده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم جعـل يشرح أفخاذه حتى مات وعـزل رأسه وأحـرق جثته (لع) ثم قدموا إليه أبحـر بن كعب ، فقال إبـراهيم رحمه الله تعالى يا ويلك ما فعلت يوم الـطف قال أخـذت قناع زينب من رأسها وقرطيها من أُذنيها فجذبت حتى خرمت أُذنيهـا قال لـه إبراهيم : وهـو يبكي يا ويلك مـا قالت لـك ! قـال : قالت قطع الله يـديك ورجليـك وأحرقـك الله تعالى بنـار الدنيا قبل نار الآخـرة ، فقال لـه يا ويلك مـا خجلت من الله تعـالى ولا راقبت من جـدهـا رسـول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا أدركتك الرأفـة عليها ، ثم قـال له : اطلع يـديك فـأطلع يديه وإذا هما مقطوعتان ثم قطر إبراهيم رجليه وقلع عينيه وعذبه بأنواع العذاب .

قال أبو مخنف : فـأمر إبـراهيم (ره) بأحضـار النوق وأركبـوها ووقـروهـا رؤوس القتلى وكـان عـدد الـرؤوس عشـرين ألف رأس وفيهـا رأس عبيـد الله بن زيـاد (لـع) وأنفذ الأموال والغنائم جميعاً إلى الكـوفة وكتب المختـار

يخبره بما جرى من حنظلة وفي الحيلة التي عملها صاحبه ثم إبراهيم (ره) بسط بساطاً على رؤوس القتلى وأكل هو أصحابه عليهم الطعام ، قال صاحب الحديث : فلما وردت الرؤوس إلى الكوفة خرج المختار خارج الكوفة وأشهرها وفرح الناس عليها فرحاً شديداً قال ونادى : تحتها يالثارات الحسين عليه السلام فلما صار رأس ابن زياد الملعون بين يدي المختار نظر إليه وبصق في وجهه وقال إحرقوه .

وقال أبو مخنف : (ره) أما الباقي من عسكر ابن زياد الملعون فبعضهم غرق في الماء وبعضهم إنهزم في البراري وتفرقوا وقليل منهم بقي ورجع إلى دمشق إلى مروان بن الحكم (لع) قال فعند ذلك رجع إبراهيم إلى الكوفة وأصحابه في غاية السرور والفرح مع الكسب والمال الكثير ، قال : وأما ما كان من مروان فإنه لما سمع ما جرى على ابن زياد الملعون وعسكره والقتل والنهب والسبى إغتم غماً عظيماً فلما كان من الغد خرج إلى المسجد الجامع وخطب الناس خطبة بالغة ثم قال أيها الناس إن الخوارج الذين مع المختار قد أفتنوا العباد وأفسدوا في البلاد فمن منكم يخرج إلى حربهم ويقتل أبطالهم ويبيد رجالهم ولا يدع منهم شيخاً كبيراً ولا طفلاً

صغيراً ، فقام عامر ابن أبي ربيعة الشيباني الملعون وقال أنا أيها الخليفة لذلك فقال مروان (لع) أُريد أن تحلف يميناً إنك لا تدع منهم احداً حتى المرأة الحامل تشق بطنها وتقتل جنينها معها فقال سمعاً وطاعة وأنا أفعل ذلك وأزيد عليه فلما حلف له جهز معه مائتي ألف فارس وسارع عامر مع العسكر يطلب الكوفة فوصل إلى حوالي الكوفة، وأما إبراهيم لما وصل إلى المختار ركب معه في يوم إلى الصيد ومعه جيشه وأصحابه فبينما هم كذلك إذ أقبل إليهم رجل راكب وهو مقبل عليهم من صدر البرية قال فرآه المختار ، فقال عليَّ بهذا الرجل فأقاموه بين يديه فقال له المختار : من أين يا أخا العرب وإلى أين تريد ؟ قال : أتيتك من عسكر مروان بن الحكم إلى عامر بن أبي ربيعة فقد ذكر إنه وصل إلى مصرعكم هذا ومعه مائتا ألف فارس من مروان بن الحكم يطلب المختار ، فقال له المختار : يا ويلك أصدقني وإلا ضربت عنقك ، فقال أنا رجل من الأزد ولي في عسكر المختار ابن عم وقد خشيت عليه فأتيت أخرجه من الكوفة ولا يتركوا منهم أحداً فقال المختار : لقواده كم في ديواني من الأزد، فقالوا : رجل واحد فقال : عليَّ به فأُحضر بين يديه ، فقال له المختار : قد إحتجت إليك بشيء ،فقال الأزدي : لا ، فقال له المختار : أنت

بحكم نفسك فإن أردت المقام عندي فأنا لـك كما تحب وإن أردت تـذهب مع ابن عمـك فمصحوب السـلامة ثم إن المختـار أمر أن يخلع على الأزدي ووهبـه ألف دينـار وقال إنْطلق إلى صـاحبك عـامر بن أبي ربيعـة فإني أعلم إنك على حق لا علينا فإذا سألك صاحبك عني فمـا تقول لـه فقـال أقـول لـه إن المختـار في ستين الف فـارس فقـال المختـار سـألتـك بـالله العـظيم لا تكـذب ولا تقــل إلا الصحيـح وقـل قـد لقيت عسكـر المختـار مـع أصحـاب إبـراهيم أربعة وعشـرين ألف فارس ، فقـال الأزدي حبـاً وكرامة فزاده على ماوهبه وسار الأزدي حتى أتى عامر ابن أبي ربيعـة وحدثـه بالحـديث من أوله إلى آخـره فقال لـه عامر بن أبي ربيعـة أُريد أن تقضي لي حـاجة ولـك صلتها مني عشرة آلاف درهم وعشرة الآف دينـار ، فقال الأزدي ومـا حاجتك أيها الأمير فقـال تعود إلى المختـار وتوصـل هذه الرقعة إلى قوم من أصحابه ثم سماهم بأسمائهم حتى عد أربعة عشر قال إني حالفتهم على قتل المختار وهم اليـوم خواصه فقال له الأزدي أيها الأمير إني أخـاف على نفسي إذا رجعت إلى عسكر المختار لأن لهم طلائع فيقبضـوني ويضربون عنقي فقال له عامر إني أُعلمك حيلة تقول بهـا وتأخذ جائزتك فقال : وما الحيلة أيها الأميـر فقال : هـذه العشرة آلاف دينار والعشـر آلاف درهم فخذ الجميـع وما

اعطاك المختار ، وسلم الجميع إلى أهلك وإرمِ ثيابك والبس ثياب أسمال خلقان وضم هذه الرقعة التي إلى أصحابي بينِ الخلقان وإمضِ إليهم فإذا قربت منهم ، فمضى حافياً مكشوف الرأس فإن الطلائع يحذرونك ويوقفونك بين يديه فإذا رآك على هذه الحالة يسألك عن حالك قل له إعلم أن عامر بن أبي ربيعة (لع) لما رأى ما أنعمت علي ضربتني وأخذ جميع ما عندي وأمر بقتلي فسأله بنو عمي في أمري فأطلقني فآتيتك فإذا سمع مالك هذا يرحمك ويخلع عليك ويجعلك من جملة أصحابه فإذا آمنت وآمن منك سلم الرقعة إلى القوم الذين أخبرتك عنهم فقلت السمع والطاعة ثم إن الازدي جمع كل ما أعطاه عامر وما كان من المختار وسلمه إلى أهله ولبس ثياباً مقطعة وركب مطياً وسار يطلب الكوفة وهذا المختار على تلك الحالة خارج قريب بلد الحيرة وإذا راكب مقبل فقال المختار لأصحابه أحضروا هذا المقبل فأحضروه عنده فنظر إليه وإذا هو الازدي فعرفه فقال له المختار ما خبرك أخا أزد وما هذه الحالة التي أنت فيها فقال الازدي إعلم أيها الأمير إن عامر بن أبي ربيعة لما رأى ما أنعمت به علي قبضني وأخذ جميع ما عندي وأمر بقتلي فسأله قومي وتشفعوني فصفح عني وطردني وقد أتيتك قال فلما سمع المختار كلامه رحمه

الله وأمر له بخمسة آلاف دينار وأخلع عليه وقال طب نفساً وقر عيناً وتلطف به المختار كثيراً قال فلما رأى الأزدي إلى كثرة إحسان المختار إليه إفتكر في نفسه وقال يا نفس إن الدنيا فانية والآخرة باقية وهذا المختار وإبراهيم وعسكرهم قوم مؤمنون لا أسمع فيهم صوت ملاهي ولا خمر ولا محرم ولا لهم غير ذكر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وتلاوة القرآن ومع ذلك لو عثر أحدهم قال لعن الله ظالمي أهل البيت وإن شرب أحدهم الماء لعن من ظلم الحسين عليه السلام ومن منعه شرب الماء فوالله لا بعت آخرتي بدنياي ثم إنه قرب من المختار وقبل الأرض بين يديه وقال أيها الأمير أريد أن تعتزل معي ناحية من أصحابك فإن عندي لك فيها وافر الحظ قال فخرج المختار معه حتى إختلا معه قال فعند ذلك حدثه بحيلة عامر بن أبي ربيعة الملعون وإن له من عسكره جواسيس وهم أربعة عشر رجلاً وسماهم بأسمائهم واحداً بعد واحد وأخرج الكتاب الذي كتبه عامر إلى أصحابه الملعونون وسلمه إلى المختار وقال يا مولاي إني تفكرت في الدنيا وفنائها والآخرة وبقائها وقد رجعت إلى الله تعالى يا مولاي وأنا تائب إلى الله قال فشكره المختار على فعله وقال له أحسنت يا أخا العرب ثم إن المختار رجع إلى أصحابه وأخبر إبراهيم بخبر الازدي وحيلة

الملعون وبالأربعة عشر الذين في عسكره قال فعند ذلك أمر المختار بإحضار الأربعة عشر الذين كانوا متفقين على قتل المختار فأحضروهم قال ذلك رمى المختار عمامته من رأسه وجرد سيفه من غمده وقتل الأربعة عشر واحداً بعد واحد منهم فتقدم إليه إبراهيم وقال له أيها الرجل إن الأمير ندم على ما فعل فاصدقني كيف أردتم وكيف كنت تفعلون فقال له والله يا إبراهيم إن ندم المختار أو لم يندم كنا في هذه المدة نتوقع الفرصة وكنا هذه الساعة نريد قتلك وقتل المختار ولكنكم سبقتمونا واعلم إنكم ما ظلمتمونا قال فعند ذلك ضربه إبراهيم (ره) بحربة وزنها ثلاثة أرطال في صدره فأخرجتا من ظهره ثم إلتفت المختار إلى الأزدي وأخلع عليه الخلع السنية

ثم إن المختار قال لأصحابه كل من يحب الحسين عليه السلام منكم يعطي الأزدي قال فجعلوا يرمون على الأزدي الدراهم والدنانير حتى صار مساوياً لرأسه قال فقال الأزدي أيها الأمير والله ما آخذ من المال درهما ولا ديناراً وأصحاب الحسين أحق مني بهذا المال ولو كنت راغباً في المال لرغبت في المال الذي يعطيني إياه عامر بن أبي ربيعة ولكني أريد رضاء الله قال فجعلوا يصننون على الأزدي قال هل أردت أيها الأمير أنا أسلم

إليك عامر بن أبي ربيعة (لع) قبض اليد فقال له المختار وكيف ذلك فقال له : تبعث معي إبراهيم وأسير أنا معه حتى تقرب من عسكر عامر بن أبي ربيعة (لع) ويكمن هو مختفى وأمضي إليه وأقول إني وصلت كتابك إلى القوم وقد أرسلوا معي واحداً منهم يستوثق منك بالأيمان والعهود وإنك لا تقصر عنهم إذا قتلوا المختار ويكون لهم عندك المرتبة العليا ويشارك في أمر المختار فاخرج معي وحدك ناحية العسكر فقال إبراهيم نعم الشور والرأي بما قلت قال ثم إن إبراهيم ركب مع الأزدي وساروا حتى أشرفا على عسكر عامر بن أبي ربيعة الملعون قال فنظرتها الطلائع فأخذوهما وعرفوا الأزدي ولم يعرفوا إبراهيم فقالوا للأزدي : من هذا الرجل الذي معك ؟ فقال إحدى بني عمي ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون هذا عدو الله يعرفني معرفة حقيقية ، قال : فمضت الطلائع إلى عامر وقالوا له أيها الأمير إن الأزدي أرسلته إلى المختار قد جاء ومعه رجل ما نعرفه وهو يزعم إنَّه ابن عمه قال فقال عامر عليَّ بهما فأحضروهما بين يدي عامر ، قال : وكان إبراهيم عنه ملثماً فنظر إليه عامر فعرفه ، فقال عامر : الله أكبر يا إبراهيم أسفر عن وجهك أظننت إنك تخفى عليَّ فوالله لاقتلك قتلة شديدة يتحدث بها أهل المشرق والمغرب ثم قال عامر لقواده : إقبضوا

عليه ، فأحاطوا بإبراهيم وكتفوه وقال عليٌّ بالسيف ونطع الدم ثم أحضر قواده السيف والنطع قال وكان ذلك مغيب في الشمس قال فقال بعض الحضور أيها الأمير تعلم إن إبراهيم هو نصير المختار وهو عمدة عسكره وهذا وقت المساء فإذا كان الغداة آمر بضرب البوقات والطبول وتنادي بالعسكر ليبصر العسكر كله قتلة إبراهيم فإذا قتلته فسر إلى المختار وقبضه قبض اليد والعادة جرت عند الحكام يحبسون شهراً وشهرين وأكثر فكيف وهو سواد الليل فقال عامر : هذا هو الرأي ، ثم سلمه إلى قواده ووكل به أربعمائة رجل من خواصه وقال لهم : أبصروا كيف تكونون في حراسته وجعلوه في الخيمة وضربوا له في الأرض أربعة أوتاد وشدوا يديه إلى وتدين ورجليه إلى وتدين وفعلوا في الأزدي مثل ذلك قال فلما غفت العيون وأطلع الحي القيوم قال بكى الأزدي وانتحب فقال إبراهيم : يا هذا الرجل أراك تبكي !؟ فقال الأزدي : لعلمي إننا مقتولون في غداة غد ، فقال له إبراهيم : ما ترضى أن تكون في جوار الله تعالى وجوار رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجوار أمير المؤمنين عليه السلام وولديه الحسن والحسين وفاطمة الزهراء عليهم السلام ، فإن قتلونا فإن الله يجمع بيننا وبينهم ، قال : فلما سمع القائد المتوكل بهم كلام إبراهيم إقشعر جلده وخشع قلبه وقال في نفسه صدق

والله إبراهيم ويحك يا نفس وما تقولين في يوم القيامة إذا أوقفوك بين يدي الله ورسوله ، وما العذر ، والله لا عاونت ظالماً مرق من الدين على أهل الحق ، فقام القائد من وقته وساعته وقال لإبراهيم : هؤلاء المتوكلون بكم نيام واعلم أيها الأمير ما كان في هذا العسكر أقسى من قلبي عليكم وقد حصلت لي الرقة عليك من كلامك وأريد طلق سبيلك ، وهذا الأزدي أطلقته فقم ، قال : فأطلق إبراهيم وقال : يا مولاي خذ سيفي هذا فإنه سيف قاطع ، وخذ يا إبراهيم لنفسك الحذر ، وقال : فخرج إبراهيم من العسكر وإقتحم البرية مع الأزدي ، قال : فلما علم القائد إبراهيم خرج من العسكر صاح بأعلى صوته هرب الرجلان !! قال فلما سمع عامر الصياح قام وركب فرسه وفي عينيه أثر النوم وتقلد سيفه وصاح في العسكر ويلكم إرْكبوا في طلب إبراهيم ، فركب العسكر جميعهم يطلبون إبراهيم والأزدي قال فلما سمع إبراهيم والأزدي حوافر الخيل وصياح الرجال قال الأزدي لإبراهيم أنا أختفي بهذا الرمل فضم الأزدي نفسه في الرمل قال إبراهيم : فبقيت متفكراً وما لي ملجا إلا الله تعالى فبينما أنا كذلك إذْ لاحت لي شجرة عظيمة فقصدتها فلما وصلت إليها صعدت عليها إلى رأسها وسترني الله تعالى عنهم في أغصانها ، قال : فأقبل

العسكر من يميني وشمالي وتفرقوا في البـرية وبقـوا على هـذه الحـالـة حتى حميت الشمس واشْتـد الحـر هـذا وإبـراهيم مكن في الشجرة وهـو آيس من روحه والله عـز وجـل حجبه عن أعينهم ، قـال إبراهيم : وصـار الـوقت قريباً من الظهر وقـد تشتت العسكر في البـرية كـل فارس بجانب وقد بَعدوا عني كلهم ، قال : وإشتد عليهم الحر والتعب مـاله شعـور في نّفسه فنـظرت إلى مـا ورائـه في البرية فلم أر أحداً غيره فتأملته وإذا هـو عدو الله ورسـوله عامر بن أبي ربيعـة الملعون فقلت في نفسي اللهم مكني من عدو الله ورسوله وأهل بيته فوقف تحت الشجرة وعيناه يحولان في البريـة يريـد أحداً من أصحـابه فلم يـر أحداً وكضه العطش قال : فأدار كفل فرسه في الشجرة ووجهـه في البرية ، قال : فنزل إبـراهيم بن مالـك الأشتر رحمـه الله من رأس الشجرة ، قال : فـطفرت على كفـل فرسـه فقبضت رقبته ورميته عن ظهر جواده وقعـدت على صدره فقبضت لحيته . فقال لي : من أنت يـا ويلك ؟ فقلت : يـاعدو الله مـا أعجل مـا أنكرتني ! أنـا إبراهيم بن مـالك الأشتـر الذي كنت بـالأمس تريـد قتلي فمكنني الله منـك قـال فجعلت السيف على حلقـه فـذبحتـه وأنـا أقـول يـا لثـارات الحسين عليه السلام ، قال : فـأخذت رأسـه وأخـذت سيفه ورمحه واستويت على ظهر الجـواد وكان سـابقاً من

الخيل وأعطيته عنانه حتى أتيت الكوفه وكان لي من يوم
فارقت الكوفة أربعة أيام وكان المختار قد أنفذ في طلبي
وهو يظن إني قد خرجت مع الأزدي إلى بعض الضياع ،
قال : فبينما المختار كذلك وكان خارجاً إلى الحيرة وإذا
إبراهيم مقبل ومعه رأس ذلك الملعون فتلقاه المختار
(ره) وسلم كل واحد منهما على الآخر فقال المختار :
أين كنت هذه المدة أيها الأمير وما هذا الرأس الذي
معك . قال : كنت في عسكر عامر بن أبي ربيعة
الملعون وهذا رأسه وقصّ عليه القصة من أولها إلى
آخرها ، فتعجب المختار منه والعسكر وكيف نصر الله
إبراهيم على عامر فقال المختار : يا إبراهيم وما فعل
الأزدي وما كان منه ؟ فقال الأمير عهدي من الأزدي لما
إندفن في الرمال وما أدري أي شيء صار عليه . قال
فقال إبراهيم للمختار : ما قعودك أيها الأمير ؟ قال فأمر
المختار فجمع عسكره وركبوا على ظهور خيولهم أربع
وعشرون ألف طالبين عسكر عامر ابن أبي ربيعة قال
وساروا بقية يومهم وليلتهم حتى أشرفوا على عسكر عامر
يموج في البرية عرضاً وطولاً لأنهم فقدوا أميرهم وصار
كل واحد يطلب الإمارة لنفسه ، فجرد المختار سيفه
وإبراهيم وعسكرهم ونادوا يا لثارات الحسين عليه السلام
وحملوا على القوم فما كان إلا ساعة وقد تركوهم كل

يخوض بدمه فتفرق وإنهزم عسكر عامر الملعون وأخذهم سيف المختار واغتموا أموالهم واستأسروهم وما أُطلق منهم أحداً فجمعوا رؤوس القتلى وإذا هي من كثرتها لا تحصى ولا تعد فحملوا بعضها على الرماح وبعضها على الجمال في العدول والجواليق والأموال والخيل وحملوا الجميع إلى الكوفة وهم ينادون يا لثارات الحسين عليه السلام قال : فلما وصلوا جلسوا في قصر الإمارة وأمر بإحضار من كان في الوقعة من الأسارى وكان فيهم جماعة ممن كان في طلبهم منهم شر حبيل والحصين وجماعة يطول شرحهم فأما الحصين فقال : لله الحمد الذي أمكنني منك ثم قرض لحمه بالمقراض إلى أن مات ، وأما شرحبيل فإنه كان قد ضرب الحسين عليه السلام على عارضه يوم كربلاء من خلفه ، فقال له : الحمد لله الذي أمكنني منك فأمر به ، فأُحرق بالنار ، وأما حرملة فلما رآه المختار بكى وقال : يا ويلك أما كفاك ما فعلت حتى قتلت طفلاً صغيراً وذبحته بسهمك يا عدو الله أما علمت إنه ولد النبي فامر به ، فجعله مرمى ، فرماه بالنشاب حتى مات لا رحمه الله ولم يزل يقتل كل واحد منهم بقتلة لا تشبه الأُخرى حتى قتل جميع من كان منهم ثم أن المختار جمع الرؤوس وشيئاً من مال الغنيمة ووجه به إلى محمد بن الحنفية وكتب له يخبره بما جرى ثم فرق

أصحابه وعماله في جميع البلاد وعدل وأنصف .

قال أبو مخنف : إن المختار بلغه أن الشمر أخذ من النهب ناقة وفرق لحمها بالكوفة فعمد المختار إلى كل دار دخلها من ذلك اللحم شيء فنقضها ولم يبق ممن شهد كربلاء إلا عمر بن سعد وأشعث بن قيس وأخوه محمد فجعل يطلبهم وكان عمر بن سعد قد اختفى بالكوفة فظفر به المختار وأحضره بين يديد وقال له : يا ابن سعد أنت قتلت رضيع الحسين عليه السلام قبحك الله من بين الأخوة لاذمة النبي حفظت ولا حق الأخوة رعيت والله العظيم لئن لم تنشدني أبياتك النونية لأعذبنك بأشد العذاب فأنشد عمر بن سعد لعنه الله وهو يقول :

فوالله ما أدري وإني لصادق	أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري منيتي	أم أصبح مأثوماً بقتل حسين
حسين ابن عمي والحوادث جمة	ولكن لي في الري قرة عيني
يقولون إن الله خالق جنة	ونار وتعذيب وغل يدين
فإن صدقوا مما يقولون إنني	أتوب إلى الرحمن من سنتين
وإن كذبوا فزنا بدنيا عظيمة	وملك عقيم دائم الحجلين
وإن آله العرش يغفر زلتي	ولو كنت فيها أظلم الثقلين
ولكنها الدنيا بخير معجل	وما عاقل باع الوجود بدين

فقال له المختار : يا ويلك هكذا يكون إعتقاد

المسلمين والله لو كنت مسلماً على الحقيقة ما فعلت، ثم قال : أُريد أن تخبرني عما أسألك عنه ؟ لما وقع الإمام على الأرض ما كان يقول ؟ فأخبره بما قال حين حدثك إلى أن بلغ إليَّ قوله ليسلطن عليكم غلاماً يسفك دمائكم وأقام في الكوفة ما شاء الله تعالى وعمل أعمالاً عظيمة ولم يخل أحداً ممن حضر قتل الحسين عليه السلام إلا قتله قال فلبس المختار نعله ووطأ به وجه ابن زياد الملعون ثم رمى النعل إلى مولى له ، فقال : خذ هذا النعل واغسله ثم وجه رأس ابن زياد ورؤوس خواصه ورؤوس بني أُمية إلى محمد بن الحنفية إلى المدينة المنورة وأتى علي بن الحسين عليه السلام يومئذٍ بمكة فكتب المختار (ره) :

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

أما بعد :

فإني أنقذت شيعتك وأنصارك إلى أعدائك يطلبون بدم أخيك الشهيد المظلوم فخرجوا محتسبين أسيافهم على أعداء الله ورسوله فلقاهم نصر من الله وفتح قريب فقتلناهم وفنيناهم عن آخرهم والحمد لله الذي أخذ لكم الثأر وأضرم في عدائكم النار وأشفى صدورنا وصدوركم وصدور قوم مؤمنين وقد وجهت اليك برأس عبيد الله ابن زياد الملعون ورؤوس أقاربه وأصحابه وبني أُمية ومن

شايع وبايع على قتل سيدنا ومولانا الحسين عليه السلام لعل يُبَرد غيظك ذلك بين أمرك ونهيك والسلام .

قال فلما ورد على محمد بن الحنفية وقرأه خرّ ساجداً شاكراً لله وبنصره أوليائه وهلاك أعدائه قال : إن محمد بن الحنفية وجه برأس عبيد الله بن زياد إلى إبن أخيه علي بن الحسين عليه السلام قال فأُدخل عليه وهو يتغدى فوضعوه بين يديه قال : الحمد لله رب العالمين أنا دخلت على هذا اللعين وأدخل رأس أبي إليه وهو يتغدى فقلت : لا تمتني حتى أرى رأس ابن زياد الملعون وأنا أتغدى ، والحمد لله الذي استجاب دعائي ثم أمر أن يرفعوه إلى الزبير فرفعوه إليه ورفعوه على قصبة فحركها الريح ، قال: فسقطت منه حية من تحت لسانه ، فأخذت من تحت لسانه فأخذتُ بأنفه ثم رفعوه على القصبة فحركتها فسقطت أيضا حية أخذت بأنفه وهكذا مراراً عديدة والناس ينظرون إليه ويلعنونه ويتعجبون من ذلك ثم أمر ابن الزبير أن يلقوه في بعض شعاب مكة .

وروى عن منهال بن عمر قال : دخلت على علي بن الحسين عليه السلام عند انصرافي من مكة فسلمت عليه فرد علي السلام . فقال لي : يا منهال ما خبرك بحرملة بن كاهل الأسدي ، فقلت له يا مولاي تركته حياً بالكوفة

فرفع مولاي علي بن الحسين عليه السلام يديه إلى السماء ثم قال : اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار ، قال المنهال ثم دخلت الكوفة وقد ظهر المختار بن أبي عبيدة الثقفي فيها وقتل من قتل وكانت بيني وبينه صداقة فأقمت في منزلي أياماً حتى إسترحت من سفري وانقطع الناس عني وركبت وخرجت في طلب المختار فلقيته خارجاً في باب داره وسلمت عليه ، فرد عليَّ السلام فقال لي : يا منهال ما أتيتنا ولا شاهدتنا ولا هنيتنا بما فتح الله على أيدينا ونصرنا على أعداء الله تعالى وأعداء رسوله وأهل بيته عليهم السلام فقلت يا مولاي إني كنت بمكة وقد جئت الآن قال وسايرته قليلاً حتى أتينا الكنائس قال فوقف كأنه ينتظر شيئاً وكان قد أخبرني عن حرملة بن كاهل فبعث قوماً يفتشون عنه فلم يكن ساعة إلَّا وجاء قوم يركضون ويقولون له أيها الأمير البشارة قد آتيناك بحرملة بن كاهل الأسدي (لع) فلما أحضروه بين يديه وإذا هو مكتوف فلما نظر إليه المختار قال الحمد لله الذي مكنني منك يا عدو الله ، قال ثم قال ابن الجزار: فحضر الجزار فقال : إقطع يديه ورجليه ، فقطعها وهو يستغيث ثم قال : عليَّ بالنار ، فأحضرت بين يديه فأخذ قضيباً من حديد وجعله في النار حتى إحمر ثم إبيض فوضعه على رقبته فصارت رقبته تجوش من النار وهو يستغيث حتى قطعت رقبته

(لع) فعند ذلك قال : المنهال سبحان الله . فقال المختار : يا منهال التسبيح حسن ولكن فيم سبحت ؟ فقال المنهال : إعلم أيها الأمير إني دخلت في سفري هذا عند إنصرافي من مكة على مولاي علي بن الحسين عليه السلام فقال يا منهال ما فعل بحرملة بن كاهل الأسدي (لع) فقلت : يا مولاي تركته حياً بالكوفة ، فرفع يديه وقال اللهم أذقه حر الحديد اللهم أذقه حر النار ، فقال المختار : بالله عليك سمعته يقول هذا الكلام ؟ فقلت : والله سمعت ذلك منه قال فعند ذلك نزل المختار على دابته فصلى ركعتين شكراً وحمد الله طويلا وركب وسرنا راجعين فلما قربنا من داري قلت له : أيها الأمير أُحب أن تشرفني وتتملح بطعامي ، فقال : يا منهال أنت تعرف أن مولاي علي بن الحسين عليه السلام دعا بثلاث دعوات إسْتجابها الله على يدي ، ثم تأمرني أن آكل وأشرب فهذا يوم أصوم فيه شكراً لله على توفيقه وحسن صنائعه ثم مضى وتركني .

والحمدلله رب العالمين، هذا ما إنتهى إلينا من أخْذ الثأر على يد المختار بن أبي عبيدة الثقفي وإبراهيم بن مالك الأشتر رحمهم الله ورضوانه عليهما .

قال أبو مخنف : وأما مصعب بن الزبير (لع) فنهض

وطلب الخلافة وسار حتى دخل البصرة واجتمع معه عسكر عظيم وسار يطلب الكوفة فأُعلم المختار بذلك فسار إليه في عسكره ومصعب نازل بنهر الدير فنزل المختار قريباً فأرسل إلى المختار (ره) وطلب أن يكون من قبله على الكوفة وسار كل واحد منهما يريد الآخر فالتقيا وجرت الحرب بينهما فنصر مصعب ووصل إلى الكوفة ودخل إلى قصر الإمارة فبقي فيه أربعين يوماً حتى ذاق به وبأصحابه المختار، فقال لأصحابه: أُريد أن أخرج إلى هؤلاء فقد شنعني الحصار فأجابه أصحابه فخرج والتقى القوم وقاتل قتالاً شديداً وحمل عليهم وغاص في أوصالهم فطلبه أصحابه فلم يروه فظنوا أنَّه قد إنْهزم وطلب أصحابه فلم يرهم فظن أنهم قد إنهزموا وبقي وحده فأسند ظهره إلى حائط القصر وقاتل حتى قتل قدس الله روحه ونور ضريحه، وأقام مصعب هنيئة عليه عبد الملك بن مروان فسار مصعب نحوه حتى إلتقيا بالرماحية من سواد دجيل فانتصر عليه ابن عبد الملك فقتله وأخذ رأسه وسار حتى وصل الكوفة وجلس في قصر الإمارة وأُحضر رأس مصعب بين يديه في طشت فقال بعض مشايخ الكوفة لا إله إلا الله لقد رأيت عجباً! فقال عبد الملك: ما الذي رأيت يا شيخ؟ فقال رأيت رأس الحسين عليه السلام في طشت وقد أُحضر بين يدي عبيد الله بن زياد في هذا

الـوضـع ، ورأيت فيـه أيضاً رأس عبيـد الله بن زياد بين يدي المختار (ره) ، ورأيت فيـه أيضاً رأس المختـار بين يـدي مصعب ، ورأيت أيضاً رأس مصعب بين يـديـك . فقـال لـه عبـد الملك : لا أراك الله الخـامس ثم إستقـر الملك في بني أُمية إلى أن ظهرت الدولة العباسية .

وهـذا ما إنتهى إلينـا من الحديث بـالتمـام والكمـال ونعوذ بالله من الزيادة والنقصان والحمد لله وحـده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليماً كثيراً .

قد تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب

الفهرس